بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٣٣ ـ صفر ١٤٣١هجرية قمرية

بهمن ١٣٨٨هجرية شمسية / فبراير (شباط) ٢٠١٠

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦ ٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٣٣

النظام الإسلامي في الرؤية القرآنية ٤

الهجوم الإعلامي ١٣

المسيرة مستمرّة بإذن الله تعالى ٢٠

مسائل النّظام والثورة ٢٤

السيدة زينب وعزة المجتمع الإسلامي ٤٩

الإسلام مصدر القدرة ٥٩

عودة الأمة في إيران ٨٧

موقف الإمام الخميني(رض) من حالة الذّل في المجتمع ١٠٤

الشيوعيون أمام النظام الإسلامي ١٠٩

امتي ١٢٠

النظام الإسلامي
في الرؤية القرآنية

محمد حسين الطباطبائي*

• حرية التفكير في الأمور الاجتماعية مفقودة عند الشرقيين • أراد الطغاة أن يعيش الأفراد همومهم الخاصة • نحن حذونا حذو الغرب في التشكيك بإسلامنا العظيم • صورة الحياة الإسلامية في كل عصر هي أفضل أطروحة تضمن سعادة البشرية في ذلك العصر • القرآن الكريم يتناول المسائل الاجتماعية في إطار يختلف عن الدراسات المادية • النظام الإسلامي يطابق نظام الخلقة والتكوين .

تقدّر أهمية المسائل المطروحة على بساط البحث والمناقشة بمقدار ما تنطوي عليه من أهميّة واقعيّة عملية، وبمقدار النتائج الّتي تسفر عنها حين دخولها الميدان الاجتماعي بالفعل.

إن من المسائل البسيطة الأولية كشرب الماء وتناول الطعام مثلا لتعادل في أهميتها حياة الإنسان بأكملها وهي أثمن ما

* - العلامة الكبير، صاحب تفسير «الميزان».

يمتلكه الإنسان. وفكرة تبدو أنها ثانوية وطفيفة كضرورة الحياة الجماعيّة تأخذ مكانها في ذهن الإنسان لتسفر عن نظام موسّع ومعقّد من العلاقات والمبادلات الاجتماعية.

لا يمكننا أن ننكر الأهمية الكبرى للحلول الّتي يقدّمها مذهب صحيح ـ كالمذهب الإسلامي ـ لمتطلبات الحياة الإنسانية في كل عصر، إذ أنها معادلة لأهمية حياة النوع الإنساني ولا متاع أغلى منه لدن أفراد البشر.

أي فرد مسلم أوتي نصيبًا من فهم الإسلام والولاء له بشكل عام يدرك في قرار نفسه هذه المسألة، لكنها كسائر مسائل الإسلام الأخرى عاشت قرونًا متطاولة في حياة أفراد المسلمين ونفوسهم، فغدت ـ كسائر المقدسات الدينيّة ـ تعيش في ضمائر الأفراد وأعماقهم دون أن تمسّها يد البحث والتطلّع والمناقشة.

إن حرية التفكير وخاصة في الأمور الاجتماعية لا وجود لها في تاريخنا نحن ـ الشرقيين ـ وإن إطلالة الفجر التي شهدتها الفترة القصيرة من صدر الإسلام سرعان ما غطتها غيوم سوداء على أثر الحوادث الطبيعية والمفتعلة التي عصفت بخطّ الرسالة وعدنا بعدها إلى ظلمات العبودية والذل والخنوع، لنعيش على أنغام قرع السوط وضرب السيف والتهليل والتكبير باسم الجبابرة والطغاة.

كان أكبر ما يستطيع أن يحققه الفرد هو المحافظة على نصوص دينه دون أن تمسها يد العابثين، وكانت هذه إرادة الطغاة المتحكمين. إنهم أرادوا أن يعيش الأفراد همومهم الخاصة دون أن

يتعدّوها إلى القضايا العامة والمسائل الاجتماعية التي أضحت حقًا خاصًا للسلطان.

لم يـر المتحكمـون ضـررًا في التـزام النـاس بـالطقوس الدينيـة الفرديـة لكـن الـذي أصـرّوا عليـه هـو شـلّ الفكـر وإخصـاء المفكرين والمنتقدين كي يكونوا هم وحدهم الدماغ المفكر لا يشاركهم في ذلك أحد.

إنهم أدركوا أن حرية التفكير تطلق الإرادات لتتحد وتجتمع. فما كان منهم إلاّ أن يتحكموا بالأفكار كي يتسنّى لهم اللعب بالمقدّرات بأية صورة شاءوا.

هذه حقائق تاريخية تتضح لكل متطلّع دونما شك أو ترديد. ولقد أتانا رسول الغرب يبشّرنا بحريّة ذات وهج وبريق، أتانا أولا ضيفًا، ثم أضحى بعد مالكًا مقتدرًا.

إن الأطروحة التي جاءنا بها الغرب هيأت لنا فرصة ذهبية لنستعيد ما سُلب منا خلال القرون المتطاولة، ولأن نفكر بوجودنا وكياننا وتراثنا من جديد.

لكننا مع الأسف صحونا صحوة إنسان لازال يُثقل جفونه النوم العميق. ولم نشأ أن نستفيد من هذه الفرصة، فاستغل البشير الغربي هذه الغفلة ليجلس مكان ذاك السلطان المتحكم في الأفكار والعقول. وأضحى هو العقل المفكر المدبّر.

وفجأة صحونا لنرى «الارادات السامية» للسلاطين قد تبدلت بإرادة القدرات الأوربية. لنرى أنسفنا قد انسقنا إلى الطريق الذي

رسمه لنا الغرب وإرادته لنا أوربا.

ألف من السنين تصرّمت وأرض إيران تحتضن جسد ابن سينا ومؤلفاته الفلسفية والطبية لكننا لم نحرّك ساكنًا.

وسبعمائة سنة خلت كانت كتب نصير الدين الطوسي ومؤلفاته العلمية خلالها نصب أعيننا، لكنه لم يحدث شيء. إلاّ إنه حينما نهض الأوربيون ليحيوا ذكريات علمائهم.. «نهضنا!» نحن أيضاً لنحيي الذكريات المئوية والألفية لعلمائنا.

أكثر من ثلاثمائة سنة مضت وفلسفة صدر المتألهين الشيرازي مدار بحث ونقاش وشرح.. إلاّ إنه حينما تحدّث أحد المستشرقين ـ قبل أعوام ـ عن فلسفة صدر المتألهين في إحدى مؤتمرات الجامعة أحدثت ضجة في الأوساط الجامعية ليس لها نظير، علمًا بأن الجامعة كانت لسنوات متطاولة تدرّس الفلسفة في أروقتها المرمرية الجذابة! هذه نماذج واقعية تلقى الضوء على شخصيتنا الفكرية. إنها تدل على تطفلنا الفكرية.. وعلى ضياع تراثنا العلمي.

ونفر آخر حاول المحافظة على استقلاله الفكري ولم ينسلخ عن شخصيته العقائدية بالمرّة، وقع في ازدواج بشخصيته، فهو من جهة قد انبهر بفتات الأفكار الغربية ومن جهة أخرى لا يزال يرى نفسه مرتبطًا بالفكر الشرقي الموروث.. فعاشت شخصيتان متناقضتان في نفس شخص واحد لتسفر عن «الازدواج».

يتحدث أحد الكتاب المسلمين عن «الديمقراطية الإسلامية»

محاولا التوفيق بين النهج الديمقراطي والطريق الإسلامي، وآخر يتحدث عن «الشيوعية الإسلامية» محاولا استخراج نصوص إسلامية تدعو إلى إزالة الطبقات!

عجيب حقًا! إذا كانت عظمة الإسلام تظهر في هضمه وتقبله للديمقراطية والشيوعية فما لنا والإسلام!

لنتمسك بهذه المبادئ الوافدة حسب ونترك هذا التراث القديم الذي أتانا من وراء القرون المتطاولة!!

وإذا كان الإسلام كيانًا مستقلا وحقيقة حيّة فذّة وله وجوده الخاص فَلِمَ هذا الإصرار على الترقيع والتمييع والتصنّع في عرض الإسلام وتقديمه؟!

في السنوات الأخيرة ـ أي بعد الحرب العالمية الثانية ـ سعى علماء الغرب بشكل جاد إلى دراسة الأديان والمذاهب والتحقيق فيها ونشر هذه التحقيقات والبحوث وما كان منا ـ نحن التابعون المقلدون ـ إلاّ أن حذونا حذوهم في طرح الأسئلة عن إسلامنا العظيم، ورحنا نردد:

هل إن جميع المذاهب والأديان صحيحة حقّة؟

أوَليست الأديان السماوية سلسلة حركات اجتماعية إصلاحية؟

أوَليس هدف الدين ينحصر في إصلاح الأخلاق؟

هل ينبغي المحافظة على التقاليد الدينية في مختلف العصور؟

هل للدين هدف آخر غير التقاليد والرسوم العملية؟

هل الإسلام يلبّي احتياجات البشر في كل العصور؟

هل.. وهل..

إن من المهم أولاً أن نؤكد إنّ أي عالم يتناول مسألة معينة فهو إنما يبحث فيها طبقًا للمقاييس العلمية التي يؤمن بها، ويصدر أحكامه وفقًا لها.

إن علماء الغرب ينظرون إلى الدين كظاهرة اجتماعية ويعتبروه نتيجة لسلسلة من العوامل الطبيعية.

إن جميع الأديان ـ في نظر علماء الغرب الذين يحسنون الظن بالدين ـ عبارة عن نتاج عقلي لمجموعة من النابغين الذين امتازوا بقابليات نفسية وعقلية خاصة فهبوا لإصلاح مجتمعاتهم وهدوا الناس إلى طريق السعادة، عن طريق وضع قواعد معينة، ثم نضجت هذه القواعد على مرور الزمن واتخذت لنفسها شكلا متكاملاً. إن المشاهدة والتجربة والتاريخ كلها تدل على أن المجتمع الإنساني في حالة رقيّ وتكامل تدريجي، البشرية تتقدم في مضمار المدنية باستمرار.

وتذهب البحوث النفسية والقانونية والاجتماعية وحتى الفلسفية ـ وخاصة أبحاث الفلسفة المادية الديالكتيكية ـ إلى أن القواعد والقوانين هي الأخرى ينبغي أن لا تبقى ثابتة بل تتغير بتغير المسيرة البشرية.

إن القواعد التي كانت توفر السعادة للإنسان البدائي وهو يعيش في كهفه ويصطاد في غابته لم تعد اليوم تصلح لعصرنا الحاضر.

والقوانين التي كانت تتحكم في عصر السيف والرمح لم تعد

تصلح لعصر القنابل الذرية والهيدروجينية.

والأعراف التي كانت تسود عصر امتطاء ظهور الخيل والحمير لا يمكن لها أن تعيش في عالم النفاذات والغواصات.

ونتيجة لهذا كله فإن القوانين والقواعد والأعراف ينبغي أن تتغير بتغير المجتمع الإنساني.. ويتبع هذا ضرورة تغيير المقاييس الأخلاقية، إذ إن الأخلاق إنما تستمد ثباتها من استمرار الالتزام بها فقط.

فلا سياسة القرون الخوالي بصالحة لأن تدير دفة الأمور المعقّدة المتشعّبة اليوم ولا العفّة الّتي كانت تفتخر بها المرأة سابقًا بذات معنى في عصرنا الراهن.

لم يعد العمال والفلاحون يطيقون الذل والهوان الذي كانوا يقاسونه في العصور الماضية. ولم تعد أساطير الخسوف والكسوف والخوف من الريح والتوكل والتسليم والرضا بالقضاء والقدر بذات معنى في عصر غزو الفضاء.

وملخص القول: إن المجتمع الإنساني يحتاج إلى القواعد والأخلاق التي تناسب طبيعة ذلك العصر.

لنضع للمسألة موازين أخرى.. موازين تفهم الإسلام على أنه:

مجموعة من النظم والقوانين الّتي تكفل سعادة المجتمع الإنساني على أحسن وجه، وتؤمّن احتياجاته الحياتية.

ومن الواضح إن هذه النظم تتخذ لنفسها مظهرًا خاصًا في كل عصر، وطريقة الرسول(ص) في تطبيق هذه النظم هي واحدة من هذه المظاهر.

إن صورة الحياة الإسلامية في كل عصر هي أفضل واسمى وأكمل أطروحة تضمن سعادة البشرية في ذلك العصر.

ولو إن هذه الموازين استقرّت في ذهن عالم غربي لكانت النتائج التي يتوصل إليها إيجابية.

شرط أن تستقر الموازين السابقة في ذهنه ـ كما قلنا ـ وأن ينظر إلى الإسلام كدين سماوي خالد مدى الدهر يطرح نفسه في كل العصور كأفضل نظام يكفل سعادة المجتمع البشري.

إلا أنه يلزمنا أن نتطلع إلى القرآن الكريم، باعتباره أحسن معبّر عن أهداف الإسلام ومراميه، لنرى مفهومه عن النبوة وعن الدين ومدى انطباق هذا المفهوم الذي ذكرناه آنفًا على التفسير الاجتماعي والنفسي والفلسفي المادي لهذه المسألة هل إن الإسلام يعتمد على مجموعة من النظم تختص بفترة معينة من حياة الإنسانية.. أم إنه مجموعة من العقائد والنظم الأخلاقية والقوانين الثابتة التي لا تقبل التغيير.. ولو كان هذا الأخير صحيحًا فكيف يستطيع الإسلام أن يلبّي الاحتياجات الإنسانية في مختلف العصور؟

هل يطمح الإسلام إلى إيقاف عجلة التاريخ ـ كما يقال ـ لسد الطريق أمام التطور المدني والمادي؟.. هل ينبغي شلّ النشاط الإنساني والحيلولة دون التغيير الاجتماعي؟

إن الذي لا مناص من التسليم به: هو إن القرآن حين يتحدّث عن الدين السماوي وغيبياته وارتباطه بنظام الكون والعالم

المتغير، وثبات الأسس الدينية، والأخلاق الفاضلة، وسعادة الفرد والمجتمع وشقائهما.. يتحدث عن كلّ هذا بشكل يختلف عن الطريق التي يتحدث بها ذاك العالم الغربي المذكور.

القرآن الكريم يبحث في هذه المسائل ضمن إطار يختلف عن الاطر التي تحدّدها البحوث الماديّة.

والنظام الإسلامي في الفهم القرآني عبارة عن مجموعة من القوانين والنظم التي تطابق نظام الخلقة والتكوين.. وهي ثابتة لا تمسها يد الأهواء والرغبات، تجسّد الحقّ ولا تتبع الأهواء الديكتاتورية الفردية، ولا إرادة الأكثرية.

بل إنها تسلب حق التبديل والتغيير من أية سلطة وتسلم مقاليد الأمور إلى النظام الكوني.. إلى إرادة اللّه.

سنوضح هذه المسألة في البحوث المقبلة بإذن اللّه تعالى.

اللهم إنك تعلم أني ما أردت من حديثي هذا سوى إبلاغ رسالتك وأداء أمانتك . اللهم واجعل هذا الحديث بحرارة الحقّ مفعما ، ولأسماع وقلوب المؤمنين وكل طلاّب الحقّ موصولا، وبنفس ماكان في حديث عبدك الصالح وإمامنا القائد من إخلاص وصفاء ممزوجا ، وتقبله بقبول حَسَن... آمين يارب العالمين.

الإمام الخامنئي

الهجوم الإعلامي

• الخطة الإعلامية المعادية للإسلام لا يمكن أن يكتب لها النجاح • يتضح لكل منصف روح العداء التي يحملها الإعلام الغربي تجاه الإسلام • مهمة الإرهاب يوجهها إلى الإسلاميين مَنْ يمارس أفظع إرهاب عالمي • معاداة السلام ينسبها إلى الجمهورية الإسلامية مَن دفع إلى فرض حرب علينا لمدة ثماني سنوات • أليس نقض حقوق شعب بكامله في فلسطين نقضًا لحقوق الإنسان؟ • بواعث السخط الأمريكي على الجمهورية الإسلامية واضحة.

الإعلام الحديث ذو التغطية العالمية، هو دون شك أمضى أسلحة الاستكبار. عدد مراكز البثّ الصوتي والتصويري والصحفي التي تكرّس أكثر جهدها لمعاداة الإسلام كثير، ويزداد باطّراد. ثمّ خبراء أجراء منهمكون فقط في تدبيج التعليقات والأخبار والتحليلات من أجل تضليل أذهان مستمعيهم وإعطاء صورة محرفة ممسوخة عن النهضة الإسلامية والشخصيات الإسلامية الكبرى.

والجمهورية الإسلامية خلال الأعوام التي تلت انتصار الثورة الإسلامية حتى يومنا هذا تواجه باستمرار وبشكل متزايد مثل هذه الإعلام المعادي.

ولابد من القول إن هذه الخطة التي اختطها العدوّ مقابل الحركة الإسلامية الأصيلة المنطلقة من الفطرة والحاجة الإنسانية لم تحظَ بكثير من النجاح ولم تحقق ما استهدفه العدوّ. ولا أدلّ على ذلك من تنامي أمواج الدعوة التي أطلقها الإمام الراحل العظيم في أرجاء العالم الإسلامي، وانتشار فكره واسمه وتعاليمه وشخصيته في شرق العالم وغربه، رغم كل الإعلام الكاذب والقول الباطل الذي أُطلق ونُشر للإساءة إلى هذا الرجل الذي نهج بشخصيته السامية طريق الأنبياء.

ومع هذا لابد من الاذعان إلى أن العامل الهام في حفظ سلامة الشعوب المسلمة وسداد فكرها هو ما ينهض به العلماء والمثقفون والكتاب والفنانون والشباب العامل والواعي من نشاط في حقل التوعية. وفي هذا المجال يتحمل الجميع وخاصة علماء الدين الملتزمين مسؤوليات كبرى.

العدو بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران حتى اليوم ألقى قائمة من الاتهامات على إيران الإسلام، ونرى توجيه نفس هذه التهم اليوم لكل النهضات الإسلامية في جميع بقاع العالم.. تهمة التعصب والجمود الفكري التي يطلقون عليها اسم «الأصولية».. تهمة الإرهاب.. تهمة نقض حقوق الإنسان.. تهمة معاداة

الديمقراطية.. تهمة إهمال حقوق المرأة.. تهمة معاداة السلام والنزوع إلى الحرب.. وقليل من الإنصاف يكفي لأن يتضح لكل شخص كذب هذه التهم ووقاحة من يطلقها.

إيران الإسلام تُتهم بمعارضة الديمقراطية بينما هي بدأت بأول استفتاء شعبيّ بعد خمسين يومًا من انتصار الثورة الإسلامية. وخلال أربعة عشر شهرًا بعد ذلك التاريخ أجرت استفتاءين شعبيين عامّين اختار الشعب في أحدهما الجمهورية الإسلامية نظامًا سياسيًا لبلده، وفي الثاني صوّت للدستور، كما جرت ثلاثة انتخابات، انتخب الشعب فيها على الترتيب أعضاء مجلس الخبراء لتدوين الدستور، ورئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي. والانتخابات الحرة تجري حتى اليوم باستمرار باشتراك حماسي جماهيري لتعيين رئيس الجمهورية وأعضاء المجلس في الموعد القانوني المقرر.

وتهمة الإرهاب يطلقها على إيران الإسلام من تنال منهم الحكومة الإرهابية الصهيونية أكثر الدعم، ومن احتضنوا في كنف حمايتهم المجموعات الإرهابية الإيرانية المعادية للثورة، ومن عمد أجراؤهم داخل إيران الإسلام مئات المرات إلى تفجير القنابل وقتل الآلاف من المدنيين والعناصر الثورية والرجال والنساء والأطفال الأبرياء.

معادة السلام ينسبها إلى الجمهورية الإسلامية من فرضوا على إيران ثمانية أعوام من الحرب بتشجيعهم النظام العراقي ودفعه،

مغدقين على ذلك النظام، الذي كان نظامهم المحبوب بسبب هجومه على إيران الإسلام، ألوان الدعم والمساعدات.

تهمة غمط حقوق المرأة يطلقها من لايستسيغ أن يرى مكانة المرأة الإيرانية السامية، حيث تشارك في أرقى نشاطات البلد مع حفظ حجابها وحدّها الشرعي، ويرون أن الوصفة المطلوبة لحياة المرأة الاجتماعية تنحصر في الابتذال المهيمن على علاقة المرأة والرجل والاستثمار البشع للمرأة في المجتمعات الغربية.

تهمة نقض حقوق الإنسان تطلقها على إيران أنظمة ترتكب أفظع الانتهاكات وأكبرها بشأن حقوق الإنسان أو تمهّد لارتكابها.

هل نقضت حقوق الإنسان في العالم الحديث كما نُقضت في البوسنة؟ أليس نقض حقوق شعب بكامله مثل الشعب الفلسطيني نقضا لحقوق الإنسان؟ التهجير الجماعي لأكثر من أربعمائة مواطن فلسطيني من أرضهم وبيتهم ووطنهم أمام مرأى ومسمع العالم الذي يدعي الدفاع عن حقوق الإنسان، كيف اعتبر قضية يمكن غض الطرف عنها؟. إسقاط طائرة مدنية إيرانية بيد أمريكا في سماء الخليج الفارسي، ظلم السود الأمريكيين، دعم الانقلاب العسكري في الجزائر، دعم النظام المصري الفاسد، الاحراق الجماعي لمجموعة من المواطنين الأمريكيين. أليست هذه وأمثالها استهانة بحرمة الإنسانية ونقض حقوقها؟ هل هذه الحكومات التي تنتهك حقوق الإنسان صراحة أو تنظر إلى

المنتهكين ببرود ولا مبالاة بل بعين الرضا والتشجيع أحيانا هي مستاءة حقًا مما تدعي أنه نقض لحقوق الإنسان في إيران الإسلام؟. الحقيقة أن هؤلاء الذين يطلقون التهم، ومن متزعميهم أمريكا التي افتعلت أخيرا ضجة جديدة مستندة إلى هذا السلاح الإعلامي البالي، يعلمون جيدا أنهم يطلقون كلامهم جزافا. إن الذي لايستسيغونه من الجمهورية الإسلامية ليس هذا، بل هو شيء آخر تقتضي مصلحتهم السياسية أن لايعلنوه صراحة، وإن كانت تصريحات منظّريهم وكتّابهم تنم لدى التدقيق عن ذلك.

سبب السخط الأمريكي

في نظام الجمهورية الإسلامية مايثير سخط أمريكا وكل مستكبر آخر هو:

الأول -عدم انفصال الدين عن السياسة والأساس الإسلامي لنظام الجمهورية الإسلامية.

الثاني -الاستقلال السياسي لهذا النظام، أي عدم استسلامه أمام التعنّت المعروف لدى القوى الكبرى.

الثالث -إعلان طريق مشخّص لحل مسألة فلسطين من قبل الجمهورية الإسلامية يتمثل في انحلال النظام الصهيوني الغاصب وإقامة دولة فلسطين من الفلسطينيين أنفسهم والتعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين واليهود في فلسطين.

الرابع - الدعم المعنوي والسياسي لكل النهضات الإسلامية

وإدانة كل إساءة إلى المسلمين في أية بقعة من العالم.

الخامس - الدفاع عن كرامة الإسلام والقرآن والنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وسائر الأنبياء ومواجهة مؤامرة نشر الاهانة بهذه المقدسات نظير ما حدث بشأن كاتب الآيات الشيطانية المهدور الدم.

السادس -السعي لاتحاد الأمة الإسلامية وإقامة التعاون السياسي والاقتصادي بين الحكومات والبلدان الإسلامية، والتحرك على طريق ترسيخ اقتدار الشعوب المسلمة في إطار «الأمة الإسلامية الكبرى».

السابع -رفضُ الثقافة الغربية المفروضة التي تسعى الحكومات الغربية عن تعصّب وضيق نظر إلى إجبار كل شعوب العالم على قبولها، والإصرار على إحياء الثقافة الإسلامية في البلدان الإسلامية.

الثامن ـ مكافحة الفساد والتحلل الجنسي الذي اعترفت بعض البلدان الغربية وخاصة أمريكا وبريطانيا أخيرا رسمياً بأبشع ألوان انحرافه بكل وقاحة أو هي عازمة على هذا الاعتراف، والوقوف بوجه خطط الغرب القديمة الرامية إلى نشر أشكال هذا الفساد في البلدان الإسلامية.

هذه هي التي تدفع أمريكا وبطانتها إلى عداء حاقد للجمهورية الإسلامية.

من الواضح أن هؤلاء لو أعلنوا صراحة سبب عدائهم،

وكشفوا عن قائمة أسباب أحقادهم لزادوا من علوّ مكانة الجمهورية الإسلامية في أنظار الشعوب الإسلامية التي تعشق هذه المبادئ. ومن هنا فإن هؤلاء في إعلامهم يتهمون إيران من جهة بأنها إرهابية وأمثال ذلك، ومن جهة أخرى يوحون في تحليلاتهم الكاذبة وأخبارهم المختلقة بأن الجمهورية الإسلامية وكأنّها قد تخلت عن مبادئها واستسلمت لإرادة الأعداء.

هاتان الفريتان كلتاهما ناشئتان عن طبيعة الاستكبار الماكرة. مبادئ الجمهورية الإسلامية التي هي ذاتها طريق الإمام والمبادئ الإسلامية نافذة في إيران الإسلام رغم أنف الأعداء، وتشكل أساس حياتنا السياسية والاجتماعية. حكومة إيران وشعبها حققوا إقامة الحياة في ظل الإسلام الخالص المحمدي(صلى الله عليه وآله) بالتضحية وبذل أعزّ الأرواح، وسوف لا يتخلون عنها في أي ظرف من الظروف. **ومبادئ الإمام الخميني -رضوان اللّه تعالى عليه -وعلى رأسها مبدأ عدم انفصال الدين عن السياسة والمقاومة أمام الضغوط المادية الحديثة لعزل الإسلام والقرآن سوف تبقى -بإذن اللّه -الأصول النابضة بالحياة المستمرة في الجمهورية الإسلامية.**

المسيرة مستمرّة بإذن الله تعالى

محمد علي التسخيري*

تمرّ علينا هذه الأيام الذكرى الحادية والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، التي كانت مبدأ تحوّل كبير على صعيد هذا البلد وعلى صعيد المنطقة بل على الساحة العالميّة.

كان الحدث كبيرًا بكل المقاييس، وكلّما مرت الأيام والسنين وانكشفت الوثائق والملفات، وتوالت الأحداث الداخلية والخارجية أدركنا أكثر عظمة ما حدث في إيران قبل ثلاثة عقود.

لقد شهدت الساحة العالمية خلال هذه المدّة سقوط إحدى الإمبراطوريتين المتحكمتين في العالم، وها نحن نرى الإمبراطورية الثانية تشرف على الإفلاس والسقوط.

وشهدت انحسار المدّ الإلحادي وانتعاش التوجه نحو الدين والمعنويات.

---

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وشهدت إفلاس الاتجاهات القومية العلمانية واليسارية وارتفاع صوت البديل الإسلامي.

وشهدت ظهور وعي سياسي ديني في عالمنا الإسلامي والتحرك نحو استعادة الهويّة.

وشهدت تراجع الصهيونية من شعارها التوسعي (من النيل إلى الفرات) لتصنع لنفسها جدارًا يحمي ما اغتصبته من أرض فلسطين.

وكل المراقبين والمحللين المنصفين يرون أن هذا جميعه من بركات انتصار الإسلام في إيران.

على الصعيد الداخلي استمرّت مسيرة الثورة الإسلامية دون تراجع أو تلكّؤ أو ترديد.

باستمرار يسمع العالم أخبار الصمود والإصرار على مواصلة المسيرة مهما كلّف الثمن. ولقد شقّت هذه المسيرة طريقها عبر جبال هائلة من المشاكل والعقبات التي خلقها طواغيت العالم وأذنابهم، ابتداءًا من المؤامرات الداخلية القومية واليسارية واليمينية ومرورًا بثماني سنوات من الحرب المفروضة وانتهاءاً بالغزو الثقافي والإعلامي عبر الفضائيات وشبكات الانترنت وسائر وسائل الإعلام والاتصال.

القيادة على درجة عالية من الوعي بما يستلزمه الظرف من موقف، والجماهير حاضرة في الساحة لمواجهة أي تهديد أو انحراف، والعلماء جادّون في التطوير على صعيد العلوم الذرية

والفضائية والجينية وسائر العلوم الدقيقة، متابعين بذلك آخر التطورات العالمية ومتفوقين عليها في بعض المجالات.

وكلّ هذا في إطار توجّه روحي نحو الله والقرآن والسنّة والمبادئ الإسلامية.

نظرة واحدة على ما أمكن الحصول عليه من وثائق في السفارة الأمريكية بطهران تكفي لأن نتأكد من أن هذا البلد أريدَ له أن يكون قاعدة للمكر الاستكباري الأمريكي وللصهيونية ولعملائهما من الماسونيين والبهائيين، ومنطلقًا للتآمر على كل حركة استنهاض في المنطقة، لكنّ الله شاء أن تتحول هذه القاعدة إلى إشعاع إسلامي يبشّر باستعادة الأمة عزتها وكرامتها وسؤددها بإذن الله.

كانت الحالة الطائفية في معظم بقاع العالم الإسلامي قبل ثلاثة عقود تحمل كل إرث الصراع الصفوي العثماني، وكل إرث الجهل ودسائس الاستعمار للتفرقة بين السنّة والشيعة، ولم يكن هناك لقاء بين الفريقين سوى فترة تحرّك دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وعلى نطاق محدود. أما بعد قيام الجمهورية الإسلامية فقد انكسرت الحواجز والسدود، وأصبح الخطاب الاستنهاضي التوعوي الحضاري مشتركًا وأضحى أمام الأمة بكافة مذاهبها هدف استعادة الهوية وهدف استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية. كما تحوّل الخلاف الطائفي إلى اختلاف علمي مذهبي يتجه نحو إثراء المشروع الإسلامي.

وإزاء كل ذلك لا تقف القوى المتفرعنة المستكبرة مكتوفة

الأيدي. نرى تحركها بوضوح في أشكال شتى. ولعلّ أبرزها اليوم افتعال إسلام مشوّه هو ما تطلق عليه الأمة اسم: الإسلام التكفيري.. إسلام لا يمتّ إلى الدين الحنيف بصلة لا على مستوى العقيدة ولا على مستوى الشريعة.. يريق دماء المسلمين ويشوّه سمعة الإسلام، ويحاول الاستفزاز وإثارة النعرات الطائفية والتقاتل بين المسلمين.. ويسمع العالم باستمرار أنباء الممارسات الوحشية الفظيعة لهذه الزمرة، وتجاول وسائل الإعلام الغربيّة أن تسلِط الأضواء على المجازر المؤلمة التي ترتكبها، لتقول للرأي العام العالمي أن هذه هي طبيعة الإسلام!! ولتكرس الخوف من الدين المبين أو الإسلاميوفوبيا في أذهان العالم.

يبدو أن التكفيريين قد انجرفوا في تيّار أصمّهم وأعمى أعينهم فلا يرون لغليلهم شفاءًا سوى سفك دم الأبرياء ، وكان آخر ما ارتكبوه من إثم في العراق وباكستان.

لا سبيل لمواجهة هؤلاء إلاّ بتحصين الأمة من أخطارهم وتقديم نموذج الإسلام الحضاري إلى العالم.

ولكن تبقى أمام التقريبيين مسؤولية كبرى في الوقوف بوجه إفرازات الإرث الطائفي وإزالة آثاره. ونحن ساعون بإذن الله في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية على هذا الطريق بمساعدة كل العلماء والمفكرين الواعين في أمتنا الإسلامية، لنسير في الاتجاه الذي اختطته الجمهورية الإسلامية.. وتحثّ الخطى للسير عليه نحو عودة الأمة إلى دورها الشاهد الوسط على ساحة التاريخ، وما ذلك على الله بعزيز.

مسائل النّظام والثورة

• الإسلام مدرسة فكرية لتنظيم الحياة البشرية • مفهوم الجمهورية لا يعفي الجماهير من التمسك بخط فكري معين • المهم أن يكون الشعب هو المنفذ للقانون الذي آمن به وقَبِلَهُ • المبادئ الديمقراطية لا تفرض بالضرورة ابتعاد المجتمع عن كل خط فكري ملتزم • الأكثرية الساحقة للشعب الإيراني حددت في شعاراتها ومطالبها نوع النظام الذي تريدهُ • الهوية الوطنية لدى جماهير الشعب الإيراني تتمثل بالإسلام • واجب المنظر (الوليُ الفقيه) أن يُشرف على التنفيذ الصحيح للنظرية • الوليُ الفقيه منتخبٌ من قِبل الجماهير وهذا عينُ الديمقراطية • التفسير الغربي لمنشأ الحرية لا يميز بين حرية الإنسان وحرية الحيوان • الديمقراطية الإسلامية تقوم على أساس حرية الإنسان الحقيقية.

قبل ثلاثين عامًا تقريبًا أُجريت هذه المقابلة مع الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري في التلفزيون الإيراني، وكانت المناسبة الإجابة على أسئلة خطرت في الأذهان آنئذ بمناسبة اقتراب موعد الاستفتاء على نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، عام ١٩٧٩م

وهو أوّل استفتاء جرى في إيران بعد الانتصار.

ومع أن الشعار الذي أطلقته الجماهير في إيران أثناء اندلاع الثورة الإسلامية هو المطالبة بالجمهورية الإسلاميّة، لكنّ الإمام المؤسس الراحل رضي الله عنه رأى أن ذلك غير كافٍ لتأسيس نظام منبثق من إرادة الأمة.

قبل الاستفتاء كان الحديث يدور في الساحة (في إطار مجموعة من المثقفين طبعًا) حول أمكان الجمع بين «الجمهورية» و«الإسلامية» وكأن الصفة الإسلامية تؤكد الحاكمية الإلهية، وهذه الحاكمية خالوا أنها تتعارض مع الجمهورية باعتبارها حاكمية الجمهور.

كما دار الحديث حول معنى الإسلامية، وهل يعني ذلك حكومة رجال الدين؟!

ودار الحديث أيضًا حول إمكان تعايش النظام الإسلامي مع تطور الحياة الإنسانية..

قيام الجمهورية الإسلامية حَسَمَ كثيرًا من الموضوعات التي دار الحديث عنها في إطار المواجهة بين المعاصرة والأصالة، وبين الهزيمة والالتزام، وبين المبدئية والتجديد.

لكنّ الحديث لايزال يتردد في الأوساط العلمية والثقافية والإعلامية العالمية حول هذه الموضوعات.

يعود السبب إلى أن الظروف التي أحاطت بالجمهورية الإسلامية في إيران لم توفّر لها الفرصة لأن تحقّق ما تصبو إليه

وأن تقدّم تجربتها المتكاملة إلى العالم.

لقد انشغلت الجمهورية الإسلامية خلال العقد الأول من عمرها بحرب ضروس جعلت كل الطاقات تتجه نحو مواجهة هذا الحقد الدولي على الولادة الإسلامية.

ولما وضعت الحرب العسكرية أوزارها بدأت فورًا حرب إعلامية وغزو ثقافي وتطويق اقتصادي وهجوم استخباراتي وأمني.

وسط هذه الحروب المتنوعة شقّت الجمهورية الإسلامية طريقها بفضل الله وبفضل الارتباط العقائدي بين الأمة والنظام، واستطاعت أن تحقق نجاحات، أجزم أنها أشبه بالمعاجز، في مختلف المجالات. واستطاعت أن تبلور لأول مرة في التاريخ نظامًا يجمع بين الطابع الديني والطابع الشعبي.. بين حاكمية الله وحاكمية الناس، وهذا هو الذي يُطلق عليه في إيران اليوم اسم «الحاكمية الشعبية الدينية». استطاعت أن تحافظ على حدود المتغيّر والثابت.. وأن تجمع على الصعيد العالمي بين الموقف المبدئي وبين احترام المواثيق والمعاهدات الدولية والسعي لمدّ جسور الثقة وتوثيق علاقات التعاون مع بلدان العالم.

إنها تحثّ الخطى اليوم لمواكبة مسيرة الحضارة العالمية ولاستئناف حركة الحضارة الإسلامية وتفجير الطاقات الخلاقة الإنسانية. وحققت في هذا المجال نجاحات علمية مشهودة.

لكنّ كل ما تحقّق مطوّق بحصار إعلامي وهجوم ثقافي وتهديد أمني متواصل، لذلك فإن ما تحقق من نجاحات في هذه

التجربة لم يصل إلى أسماع العالم، بل الذي وصل مشوب بالتشويه وببثّ روح الإحباط وبإثارة الهواجس والظنون والشبهات.

وهذه مقتطفات من تلك المقابلة:

*** فضيلة الأستاذ! نحن على أبواب اجراء الاستفتاء العام لتعيين النظام الحاكم في إيران، وخلال هذه الأيام يطرح بعض ـ وخاصة المثقفين ـ أسئلة فكرية تتعلق بمسالة النظام..**

نغتنم فرصة لقائنا بكم في هذه الندوة التلفزيونية لنوجّه إليكم أهمّ تلك الأسئلة:

أبدأ من مفهوم «الجمهورية الإسلامية» وهو مفهوم يبدو غامضًا إلى حد كبير... فالجمهورية تعني إعطاء الشعب حق الحاكمية.. بينما الصفة الإسلامية تقيّد هذه الحاكمية وتحدّدها. ويبدو أيضا أن مفهوم الجمهورية الإسلامية يتعارض مع مفاهيم الديمقراطية ومفاهيم الجمهورية بمعناها المطلق العام، فهل لكم أن تعطونا صورة واضحة لنظام الجمهورية الإسلامية؟

ج: أعتقد أنّ مفهوم «الجمهورية الإسلامية» واضح لا يحتاج إلى كثير من الشرح والتفصيل. فالمفهوم مركّب من كلمتين: كلمة «الجمهورية» وكلمة «الإسلامية».

كلمة «الجمهورية» تعيّن شكل الحكومة المقترحة.

وكلمة «الإسلامية»: تحدّد محتوى هذه الحكومة.

تعلم أنّ النظّم التي حكمت في العالم وتحكم الآن متنوعة،

منها النظام الفردي الوراثي، كنظام السلطنة والنظام الملكي.. ومنها النظام الارستقراطي كالنظم الّتي يحكم فيها الفلاسفة والحكماء أو المتخصّصون أو الأشراف. ومنها حكومة المتنفذين وأصحاب رؤوس الأموال ودافعي الضرائب.. وغيرها من النظم والحكومات.

حكومة عامة الناس، واحدة أخرى من الحكومات المطروحة على ساحة أنظمة الحكم.. وهي تعنى الحكومة التي يتمتع فيها جميع الناس بحق الانتخاب دون تمايز بينهم في الجنس أو اللون أو العقيدة، والشرط الوحيد في المنتخب هو البلوغ والنضج العقلي لا غير..

إضافة إلى ذلك، الهيئة الحاكمة المنتخبة تحكم لفترة معينة، وللشعب حق إبقائها أو تغييرها بعد انقضاء تلك الفترة.. وهذا الشكل من أنظمة الحكم هو «الجمهوري»، وهو الشكل المقترح لنظام الحكم في إيران.

أما كلمة «الإسلامية» فتعنى كما قلنا تحديد محتوى هذه الحكومة، محتوى هذا الشكل من الحكم أي إنّ الناخب حينما يقول نعم للجمهورية الإسلامية، يقترح أن يكون نهج الحكومة قائمًا على أصول وتعاليم إسلامية.

الإسلام كما هو واضح، مدرسة فكرية وإيديولوجية وأطروحة لتنظيم الحياة البشرية بجميع أبعادها وشؤونها.

من هذا نفهم أن «الجمهورية الإسلامية» تقوم على أساس نظام

يتمتع فيه أفراد الشعب بحق الانتخاب وبحق تغيير الهيئة الحاكمة، وهذا هو شكل النظام.. أمّا المحتوى فإسلامي.

والذين يجدون غموضًا وتناقضًا في كلمة «الجمهورية الإسلامية» قد اختلط عليهم الأمر، وخالوا أن ثمة تناقضًا بين حق السيادة وحق الالتزام بمدرسة فكرية عملية في الحياة. هؤلاء ظنّوا أن الإنسان الملتزم بخط فكري معين، والمناضل من أجل تطبيق مبادئ هذا الخط في الحياة الاجتماعية، ليس بحرّ ولا ديمقراطي، ومن خلال هذه المعادلة الوهمية الخاطئة يستنتجون أن الديمقراطية سيتهددها الخطر إن أضحى النظام إسلاميًا وأضحت الجماهير تؤمن بالمبادئ الإسلامية وتطالب بتطبيقها!!

مسألة الجمهورية ـ كما ذكرت ـ ترتبط بشكل النظام المؤطّر بنوع من الديمقراطية، أي القائم ضمن إطار إعطاء الأفراد حق تقرير المصير، ومفهوم الجمهورية هذا لا يعفي الجماهير من التمسك بخط فكريّ معين والالتزام بمبادئ مدرسة معينة.

تُرى، هل تعنى الديمقراطية أن يلتزم كل فرد بخط فكري خاص، أو أن يتخلّى جميع الأفراد من أي التزام بمدرسة فكرية؟؟!

ترى، هل الإيمان بمادئ قائمة على أساس العلم والمنطق والفلسفة، والتسليم لهذه المبادئ يعارض الديمقراطية؟!!

الأكثرية الساحقة للشعب الإيراني، تؤمن إيمانًا راسخًا بمبادئ الإسلام، وليس في هذا الإيمان المطلق ذنب ولا عيب.

لكنّ العيب أن تسلب هذه الأكثرية القاطعة، من الأقلية غير المؤمنة، حقَّ النقد والمناقشة والاعتراض.

وهل هذه الأقلية الضئيلة المعارضة تتمتع اليوم عندنا بالحد الكافي من الحرية؟ هذا ما يترك الجواب عليه لأولئك الذين يصرّون على أنّ الديمقراطية ترادف عدم الالتزام بمدرسة فكرية![1].

*** ذكرت أنّ النظام الجمهوري يعني منح جميع الجماهير حق الحاكمية والسيادة. والسيادة الشعبية من معطيات الثورة الدستورية الإيرانية[2]. في مطلع هذا القرن، وطرح مسألة «الجمهورية الإسلامية» بدلاً من «الجمهورية» بشكل مطلق، يؤدّي إلى حكومة طبقة الروحانيين (علماء الدين)، ألا تعتقد أن هذا يؤدّي إلى سلب الجماهير حقها في الحكم والسيادة؟ ألا تعتقد أن من الأفضل، التمسك بالقاعدة القائلة: إن السلطات الحاكمة تنطلق من الشعب، بدلاً من الخوض في بحوث عامضة ترتبط بالحكومة الإسلامية كبحث ولاية الفقيه؟!**

ج: أفهم من سؤالك أنك تريد أن تقول: إنّ الشعب الإيراني في ثورته الدستورية، قد نال حق سيادته الشعبية، أي حق انطلاق السلطات التقنينية والتنفيذية والقضائية من الشعب وليس من

---

١ - يقصد أن هؤلاء المعارضين يتمتعون بكامل الحرية في إعلان معارضتهم(م).

٢ - هي الحركة التي انبثقت في بداية القرن العشرين (١٩٠٦) لمعارضة حكم الشاه القاجاري الاستبدادي، والمطالبة بحكم دستوري.

المعقـول أن تفـوّض الجمـاهير هـذا الحـق لشـخص أو أشـخاص محـدّدين. كمـا تريـد أن تقـول أيضـا: إن مفهـوم الجمهوريـة الإسلامية، يعني حق حاكمية الفقيه ـ أو استبداد الفقهاء كما يقول بعضهم ـ وهو مفهوم رجعي معارض لسيادة الشعب.

مـن أجـل أن أجيـب علـى مـا تقـول، لابـد أن أذكـر أنّ الشـعب الإيراني نـال في ثورته الدستورية حق سيادته، لكـن هـذا الشـعب لم يكـن يـرى أي تعـارض بـين نيله هـذا الحـق، والتزامـه بالإسـلام فكـرًا وعقيـدة وقانونًـا ينظم جميـع شـؤون الحيـاة. ولهـذا نـص الدسـتور الإيرانـي المدوّن عقـب انتصـار تلـك الثورة، علـى ضـرورة السير في إطار القوانين الإسلامية، وصرّح بأنّ أي قانون إنّما يفقد اعتبـاره القـانوني إذا كـان معارضًـا لقـوانين الإسـلام. كمـا نـصَّ الدستور الذي تمخضت عنه الثورة الدستورية الإيرانية على ضرورة وجود خمسة فقهاء في مجلس النـواب للإشـراف علـى القـوانين. ولم يكـن يخطر على بال روّاد الثورة الدستورية، أن التمسـك بالإسـلام والالتـزام بالحـدود والقـوانين الإسـلامية يعـارض الـروح الدسـتورية والروح الديمقراطية. كما أنهم لم يروا معارضة بين الإسـلام وبـين قـدرة مجلـس النـواب علـى التقـنين، لأن القـوانين كانـت تسـنّ في إطار المبادئ الإسلامية.

المهم أن يكـون الشـعب هـو المنفّـذ للقـانون الـذي آمـن بـه وقَبلـه. سواء كـان الشـعب هـو الـذي سـنّ القـانون، أو أن يكـون قـد سـنّه صـاحب مدرسـة فكريـة أو منظـر قـانوني، أو أن يكـون القـانون

الذي آمنت به الجماهير قد تلقته عن طريق الوحي الإلهي.

يتضح من هذا أن الصفة الإسلامية للجمهورية، لا تتعارض مع سيادة الشعب أو مع الديمقراطية بشكل عام، والمبادئ الديمقراطية لا تتطلب بالضرورة ابتعاد المجتمع عن كل خطّ فكري ملتزم.

إننا نرى الأحزاب تتبنّى أيديولوجيات معينة ولا تعتبر هذا التبنّي معارضًا لمبادئ الديمقراطية، لكن المسألة حينما تطرح على الصعيد الإسلامي، يثير بعضهم شكوكًا وتساؤلات حول إمكان انسجام المفهوم الإسلامي مع المفهوم الجمهوري!!.

أعتقد أنّ هذه الشكوك والشبهات تُطرح من لدن أفراد لايزالون يؤمنون بديمقراطية القرن الثامن عشر التي تحدّد حقوق الإنسان بإطار مسائل المعيشة والمأكل والمسكن والملبس وحرية انتخاب طريقة المعيشة المادية. هذه الديمقراطية التي تحذف من دائرة الحقوق الإنسانية، مسائلَ الانتماء الفكري والالتزامِ المدرسي والتكاملِ الإنساني والتحررِ من سلطة البيئة والغرائز...

أشرت في أسئلتك إلى سلب الجماهير حقها في الحاكمية والسيادة، وهنا لابد أن أشير إلى حقيقة واضحة كل الوضوح هي: أنَّ الأكثرية الساحقة للشعب الإيراني حدّدت في شعاراتها ومطاليبها نوع النظام الذي تريده. لم يتجه كفاح الشعب الإيراني إلى إزالة التسلط السياسي والاستعمار الاقتصادي حسب، بل اتّجه أيضًا إلى مقارعة الثقافات والأيديولوجيات الغربية، إلى مقارعة

التبعية للغرب تحت الناوين المغرية نظير الحرية والديمقراطية والاشتراكية والمدنية والتطور والتقدم وغيرها من العناوين الزائفة التي يلوّح بها الاستعمار وعملاؤه في عالمنا.

إن الملايين من أبناء الشعب الإيراني، حين يطالبون في مظاهراتهم الضخمة الصاخبة بإقامة الجمهورية الإسلامية، قد حدّدوا في الواقع، الإطار الفكري لنظام الحكم الذي يريدونه.

الهوية الوطنية لأيّ شعب من الشعوب تتمثل في التراث الحضاري المتأصل في أعماق هذا الشعب.

وهذه الهوية الوطنية تتمثل لدى جماهير الشعب الإيراني بالإسلام.

الإيرانيون المنفصلون عن الإسلام، هم في الواقع منفصلون عن الروح الحضارية للشعب الايراني، وعن إرادة هذا الشعب، على الرغم من أنهم يعيشون في كنف هذه الأمة وتحت حمايتها.

لو كانت إرادة الشعب في إقامة الجمهورية الإسلامية، تتعارض مع السيادة الشعبية، لكانت الديمقراطية أمرًا محالاً، إذ إنّ وجودها يستلزم عدمها.

لا أحد يريد فرض الطابع الإسلامي على النظام الجمهوري المقترح في إيران. فتلك إرادة الشعب نفسه. والثورة في إيران بدأت تتصاعد بسرعة فائقة منذ أن طُرح شعار الجمهورية الإسلامية.

مفهوم الجمهورية الإسلامية ينطوي على نفي وإثبات، نفي لنظام حاكم فرض سيطرته خمسة وعشرين قرنًا، وإثبات

محتوى إسلامي وتوحيدي للنظام المقترح.

طرحتَ في أسئلتك أيضًا، مسألة «ولاية الفقيه»، وهذه المسألة تتضح في ضوء ما ذكرناه. «ولاية الفقيه» لا تعنى أن يكون الفقيه على رأس الجهاز التنفيذي، وأن يمارس التنفيذ بنفسه عمليًا.

دور الفقيه في البلد الإسلامي ـ أي في البلد الذي آمن مواطنوه بالإسلام باعتباره مدرسة فكرية متكاملة ــ هو دور المنظّر (الايديولوجي)، لا دور الممارس للأمور التنفيذية. وواجب المنظّر أن يشرف على التنفيذ الصحيح للنظرية، أن يبدي رأيه في صلاحية الأفراد المنفذين للدستور، وفي صلاحية رئيس الجمهورية، وفي جميع الأعمال التي تتعلق بتطبيق النظرية الإسلامية.

لم يكن ثوّار الحركة الدستورية وأنصارها في إيران تلك الأيام، ولا الشعب الثائر المسلم اليوم، يرون في الفقيه حاكمًا ينبغي أن يتقلد زمام الأمور، ويمارس الإدارة والحكم. بل كانوا يرون فيه الشخص الذي ينبغي أن يبدي وجهة نظره في صلاحية الحاكم المنفّذ للقوانين الإسلامية، باعتبار أن أبناء المجتمع الإسلامي يرتبطون بالمدرسة الإسلامية.

من هنا جاء في الحكم الصادر من الإمام (الراحل) إلى رئيس وزراء الدولة الموقتة: إنني أعين رئيس الحكومة، استنادًا إلى الحق الشرعي (ولاية الفقيه)، واعتمادًا على الثقة التي أولتني بها الأغلبية الساحقة للشعب الإيراني.

«ولاية الفقيه»، ولاية إيديولوجية، والفقيه منتخب من قِبَل

الجماهير، وهذا عين الديمقراطية.

لو كان الفقيه منصوب من قِبل فقيه سابق، لو كانت السنّة أن يعين كلُّ فقيه خلفه لأمكن القول، أن هذه السنة مخالفة للديمقراطية. لكن المواطنين أنفسهم هم الذين ينتخبون هذا المشرف على تطبيق القوانين.

الحق الشرعي للولي الفقيه ينطلق من انتماء أغلبية الشعب الساحقة للإسلام باعتباره مدرسة فكرية شاملة، وهذه الأغلبية، تعطي رأيها فيمن يشرف على التطبيق والمطبقين.

أشرت في أسئلتك إلى حكومة طبقة رجال الدين، وفي عبارتك خلط بين الحكومة الإسلامية، وحكومة رجال الدين. كيف استنتجت من مفهوم الجمهورية الإسلامية، مفهوم حكومة رجال الدين؟ هل الإسلام دين طبقة رجال الدين؟ هل الإسلام إيديولوجية رجال الدين؟ هل إن مثقفينا حقاً يفهمون الجمهورية الإسلامية أنّها حكومة علماء الدين، وأنها حكومة يتولّى فيها علماء الدين كلّ مناصب الدولة؟!

إذا كان فهمهم كذلك، فهو غريب للغاية، وإن كانوا يفهمون الحقيقة لكنّهم يصرّون على تزويرها وتحريفها، فهو مؤسف للغاية.

إن تلميذ الابتدائية في إيران يفهم اليوم أنّ الجمهورية الإسلامية تعنى المجتمع الإسلامي، والمجتمع التوحيدي القائم على أساس تصور إسلامي للكون والحياة.

كلّ من له أدنى اطلاع على المفاهيم الإسلامية، يعلم أنّ التصور الإسلامي ينطوي على إيديولوجية توحيدية يعبر عنها بالتوحيد العملي. وتعنى بلوغ الإنسان درجة التوحيد الأخلاقي والتوحيد الاجتماعي.

دأب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يتوّج رسائله إلى الشخصيات العالمية بالآية الكريمة:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ (آل عمران/ ٦٣).

وجملة: ﴿تَعَالَوْاْ إِلى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ تعنى التوحيد النظري، وجملة: ﴿أَنْ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ﴾ تعنى التوحيد العملي الفردي.

وعبارة: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ تؤكد التوحيد العملي الاجتماعي، المقارن للحرية والديمقراطية بأعمق أشكالهما.

أين هذا المفهوم العميق للمجتمع الإسلامي، من مفهوم حكومة رجال الدين؟! إنه بعيد عنه كل البعد.

يعتقد بعضهم أنّ إطلاق لفظ الجمهورية الإسلامية يضفي الصفة الطبقيّة على المجتمع. بينما الاكتفاء بلفظ الجمهورية ينفي هذه الصفة. وهذا الاعتقاد الخاطئ، كما قلنا ناشئ عن فهم خاطئ لوظيفة الروحانيين (علماء الدين) في المجتمع الإسلامي.

ولابد أن أوكّد في اختتام إجابتي على سؤالك، أن لفظ

الجمهورية وحده لا يمكن أن يكون منطلق تحوّل واقعي في المجتمع، كما أنّ إضافة صفة إلى كلمة الجمهورية لا يؤدي بالضرورة إلى تناقض بين الصفة والموصوف، بل ينبغي البحث أوّلا في محتوى هذه الصفة، والصفة الإسلامية لاتتناقض مع الجمهورية، ولا تؤدّي إلى تسلط طبقة معينة في المجتمع الإسلامي.

*** أعلن الإمام (الراحل) في إحدى خطبه: إنّي أُدلي بصوتي «للجمهورية الإسلامية» لا كلمة أكثر، ولا كلمة أقل. ويبدو أنّ الإمام يقصد الصفة الإسلامية في عبارته «لا كلمة أقل»، وأوضحت في حديثك أن هذه الصفة توضّح محتوى نظام المستقبل، أما ما يقصده الإمام من عبارة «لا كلمة أكثر»، فهو ـ على ما يظهر ـ كلمة الديمقراطية، فقد تردّدت على الألسن هذه الأيام عبارة الجمهورية الإسلامية الديمقراطية وتأكيد الإمام على حذف كلمة الديمقراطية قد يستهدف توضيح الفرق بين الديمقراطية الغربية والحريات الإسلامية.. نرجو أن تعطينا فكرة واضحة عن سبب حذف كلمة الديمقراطية.**

ج - لا أستطيع أن أدّعي القدرة على توضيح جميع الجوانب التي ينطلق منها الإمام في حديثه، فاكتفى بتوضيح بعض الجوانب التي توصلت إليها، والتي أعلم أنها رأي الإمام أيضا في هذا المجال. الحرية الفردية والديمقراطية موجودتان ـ كما تعلم ـ في الإسلام مع فارق بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية لمفاهيم الحرية والديمقراطية كما سنوضح ذلك.

من هنا نفهم أن إضافة كلمة «الديمقراطية» إلى «الجمهورية الإسلامية» تحشية زائدة.

عبارة «الجمهورية الإسلامية الديمقرادية» تعني أن النظام يستند إلى أساسين: الإسلام والديمقراطية، وهذه الازدواجية قد توهم أن الحريّات الفردية والديمقراطية التي سيتمتع بها الأفراد في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، منبثقة من الصفة الديمقراطية، لا الإسلامية.

وقد يُفهم من هذه الازواجية، أن الحريات والحقوق الفرديّة والديمقراطية تنبثق من الأساس الديمقراطي للنظام، لا من الأساس الإسلامي. بينما أحكام العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية تنبثق من الأساس الإسلامي للنظام.

نحن نريد ان نؤكد على خلاف ذلك.

والسبب واضح:

أولاً ـ لأن الصفة الإسلامية تنطوي على الحريات الفردية والديمقراطية.

ثانيًا ـ لأن الحريات الديمقراطية بمفاهيمها الغربية تختلف اختلافًا جذريًا عن مفاهيم الحريات الإسلامية. وهذا الاختلاف الجذري، لا يمكن أن نتجاهله في بناء مجتمعنا الإسلامي.

حول منشأ الحريات والحقوق الفردية قيل: إن الإنسان خُلق حرًّا وينبغي أن يعيش حرًّا. وبشأن جذور هذه القضية، وسبب عدم صدقها على البهائم مثلا، تختلف وجهات النظر.

الفلسفة الغربية تذهب إلى أنّ الحرية ناشئة عن رغبات الإنسان وميوله. وهذه الفلسفة لا تفرق بين «إرادة» الإنسان و«ميوله». وتنظر إلى الفرد باعتباره موجودًا ذا ميول ورغباتٍ. وهذه الميول والرغبات هي منشأ حرية الفرد في ظل النظام الذي يريده. حرية الفرد لا يحدّها شيء ـ في نظر فلاسفة الغرب سوى حرية رغبات الآخرين. ولا يمكن لأية أطر وموازين أخرى أن تحدّ حرية الإنسان وميوله.

الحرية بهذا المعنى المشهور في الغرب هي أساس الديمقراطيات الغربية، وهي ليست في الواقع سوى نوع من الحيوانية مطلقة العنان.

التفسير الغربي لمنشأ الحرية، لا يستطيع أن يميّز بين حرية الإنسان وحرية الحيوان.

الموجود البشري مع حيوانيّته إنسان ومع إنسانيته حيوان.

الكائن البشري يتمتع بملكات سامية هي ملاك إنسانيته. ومن مظاهر هذه الملكات: التفكير المنطقي (لا كلّ ما يسمّى تفكير)، والميول السامية (كالميل نحو اكتشاف الحقائق، ونحو الخير الخلقي، ونحو الجمال ونحو عبادة الحق..).

الكائن البشري، موجود تنطوي طبيعته على قطبين متناقضين هما: العقل والنفس، أو الروح والجسم. ومن المستحيل أن يستطيع الإنسان الانطلاق بحرية تامّة على كلا الخطين المتناقضين. التقدم على أحد الخطين يؤدّي بالضرورة إلى تحديد الانطلاق الحرّ على الخط الآخر.

لو اعتبرنا ميول الإنسان ورغباته، أساسَ الحرية ومنشأها لنتج عن ذلك ما هو مشهور اليوم في مهد الديمقراطيات الغربية، حيث توضع القوانين استنادًا إلى رأي الاكثرية.

انطلاقًا من هذا الأساس، واحترامًا للديمقراطية ورأي الاكثرية، يصبح الشذوذ الجنسي قانونيًا هناك. الدليل الوحيد لمشروعية هذا العمل المنحط هو رأي الاكثرية. فمادامت أكثرية الشعب دلّت عمليًا على موافقتها على الشذوذ الجنسي، فإن هذا العمل يصبح قانونيًا بحكم الديمقراطية.

لو طرحنا على حماة الديمقراطية الغربية هذا السؤال: أليس للإنسان صراط مستقيم يؤدّي به إلى التكامل الروحي؟ اذا كان جوابهم إيجابيًا لاستلزم أن يقبلوا ضرورة وجود مراقبة وتوجيه لصيانة الإنسان من الانحراف عن هذا الصراط المستقيم.. ولكن جوابهم سلبيًا، أي إنهم يرفضون وجود مثل هذا الصراط، ويعتبرون ميول الإنسان ورغباته هي التي تحدد معالم مسيرته. هؤلاء يتبعون نظرية (جحا) الذي قيل له: أين تذهب؟ أجاب: إلى حيث شاءت بغلتي!

والمجتمع القائم على أساس موازين الديمقراطية الغربية، يتجه إلى حيث شاءت رغبات الاكثرية وميولها.

الديمقراطية الإسلامية تقع في النقطة المقابلة لهذا النوع من الديمقراطية والحرية.

الديمقراطية الإسلامية تقوم على أساس حرية الإنسان. لكن

هذه الحرية لا تعني إطلاق عنان شهوات الإنسان، بل تعنى كسر جميع القيود والأغلال التي تحدّ الإنسان من الانطلاق على طريق إنسانيته، مع تأطير وتحديد لدوافعه الحيوانية.

وهنا لابد أن أؤكد أن الإسلام ليس بدين كبح الشهوات وإماتتها، بل دين تأطير الشهوات وتنظيمها والسيطرة عليها، وهذه مسألة واضحة لا تحتاج إلى تفصيل.

لأضرب مثالا على الفرق بين الحرية في مفهوم الديمقراطية الغربية والحرية في المفهوم الإسلامي، وأترك الحكم لك كي ترى أيّ الحريتين هي الواقعية والحقيقية.

يذكر التاريخ أنّ الملك «كورش» ـ مؤسس أول إمبراطورية إيرانية ـ حين فتح بابل، ترك أهلها أحرارًا في عقائدهم وعباداتهم. ترك عَبَدَة الأوثان يلوذون بأصنامهم وعَبَدة الحيوانات يتمسحون بأنصابهم، دون أن يفرض عليهم أيّ حدود أو قيود. وكورش هذا يعتبر في معيار الغرب أحد روّاد الحرية في التاريخ. إذ إنه احترم ميول الناس ورغباتهم.

والتاريخ ذكر لنا أيضا موقف «إبراهيم الخليل» عليه السلام من معتقدات شعبه. كان إبراهيم يرى في هذه المعتقدات المنحطة قيودًا وسلاسل تكبل الأفراد. وما كان موقفه تجاه معتقدات قومه موقف عدم الاحترام فحسب، بل موقف المحطم للأصناء والآلهة الكاذبة، وموقف المنبّه لهم بزيف هذه الأصنام وخوائها حين عمد إلى وضع الفأس في عنق كبير الأصنام.

عمل إبراهيم ـ في معيار الديمقراطية الغربية ـ عمل عدواني مخالف لمبادئ الحرية. إذ إن إبراهيم كان ينبغي أن يدع قومه أحرارًا فيما يعبدون ويعتقدون. غير أن منطق الأنبياء يختلف عن منطق الإنسان الغربي المعاصر.

خذ مثالا آخر من عمل النبي(ص) حين ورد مكّة، هل كان موقفه كموقف كورش؟ هل ترك أهل مكة يلوذون «بلاتهم» و«هبلهم» ويعكفون على أصنامهم؟ هل ترك الناس ونشاطاتهم لينتهجوا أي طريق يشاؤون؟ أم إنه عمد إلى تحطيم الأصنام ليحرّرهم من إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وليهَبَ لهم الحرية الحقيقية؟

الحرية والديمقراطية تقومان ـ في نظر الإسلام ـ على أساس ما يفرضه التكامل الإنساني للموجود البشري. الحرية حق للإنسان بما هو إنسان، حق منبثق من المؤهّلات الإنسانية للإنسان، لا من ميوله وأهوائه.

الديمقراطية ـ في نظر الإسلام ـ تعنى الإنسانية المنطلقة، بينما تعنى ـ في قاموس الغرب ـ حيوانية منطلقة !! .

وثمة سبب آخر لتأكيد الإمام على حذف كلمة الديمقراطية من تسمية النظام المقترح في إيران، هو رفض التقليد الأعمى للموازين الغربية. الإمام لا يريد لشعبه أن ينبهر بالغرب ويلهث وراء فتات حضارته. فهذا يؤدّي في النهاية إلى ضعف معنويات الشعب وإلى سقوطه.

الإمام يعتقد أنّ استعمال كلمة الديمقراطية في تسمية النظام خيانة لروح الاستقلال لهذا الشعب، إذ إن تراثنا ينطوى على جوهر الحرية.. ولا حاجة لأن نمدّ يد التكدّي، إلى الآخرين.

ما الذي فعله الإمام؟

إنه أعاد لهذه المجموعة البشرية شخصيتها المفقودة. أعاد لها وجودها الواقعي وهويتها الإسلامية وانقذها من الضياع والذوبان. وهذه أكبر هدية منحها القائد لشعبه.

لقد استطاع الإمام القائد (الراحل) أن يعيد إلى الجماهير إيمانها بنفسها، وأعلن بصراحة أن الإسلام وحده قادر على إنقاذ هذه الأمة.

طرح الإمام على الساحة مسألة الجهاد الإسلامي وحدّد للجماهير واجباتها الدينية، وصوّر أمامها عظَم الشهيد والشهادة.

هذه الأمة التي عاشت طويلاً أمل الانخراط في زمرة أصحاب الحسين، وردّدت صباح مساء عبارة خاطبت فيها شهداء الطف قائلة: ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزًا عظيمًا.. هذه الأمة وجدت نفسها فجأة على مسرح كربلاء وتبوك وبدر وأُحُد وخيبر.. وجدت نفسها أمام الحسين وجهًا لوجه.

وهذا هو الذي هزّ الملايين من الأعماق ودفع بها إلى أن تسبغ الوضوء من ينبوع الحب الإلهي، وتخرج مكبرة مهلّلة لتحطّم عروش الظالمين.

*** سؤالي الأخير عن مستقبل هذه الثورة. هل تعتقدون أن بالإمكان صيانة معطيات هذه الثورة واستمرار مسيرتها بحيث لا تعود الأوضاع السابقة، ولا تنتهي الأوضاع إلى حالة سيئة؟**

ج ـ من السذاجة ـ طبعًا ـ الاعتقاد بأن كلّ شيء قد تمّ. آثار النظام السابق لاتزال باقية، وهذه الآثار نتلمسها في كلّ ماكان يقوم عليه ذلك النظام من ثقافة عملية، ومن تركيب اجتماعي خاص.

لايزال كثير من أبناء شعبنا يصدر أحكامه على الطريقة الشاهنشاهية. ومن هنا فنحن بحاجة أولا إلى كنس الثقافة الاستعمارية، وإلى تطهير البلد من آثار الاستعمار.

والى جانب هذا، هناك أياد تحاول إعادة الوضع السابق، وثمة مجموعات يسارية تحاول دفع الثورة نحو الشيوعية، وإضافة إلى هؤلاء وأولئك، هنالك (العَلمانيون) الذين يريدون إبعاد علماء الدين عن الساحة بعد أن استفادوا منهم في إسقاط النظام الشاهنشاهي، ليعيدوا ما قاموا به من دور في الحركة الدستورية الإيرانية وفي حركة استقلال العراق وفي الحركة الوطنية الإيرانية.

مع كل هذه الأخطار والمشاكل تمتلك الثورة أقوى الأسلحة وأمضاها، إنه إيمان الشعب بقوته وعودته إلى قيمه الإسلامية الأصيلة.

كل القوى الكبرى تخشى يقظة الجماهير المسلمة أشد الخشية. لو استيقظ الشرق المسلم لما استطاعت أن تقف بوجهه أعظم الأسلحة وأفتكها. وطريق هذه اليقظة هو العودة إلى تاريخنا وحضارتنا.

أتذكر أنّ طالبًا سألني بعد انتهاء إحدى محاضراتي قائلاً: لو أنّ الإسلام كان قادرًا على إنقاذ الشعوب وصنع الحضارة، فلماذا لم ينهض بهذه المهمّة خلال أربعة عشر قرنًا من ظهوره؟؟

أجبته بسبب جهلك وجهلي بتاريخ الإسلام، فمن عوامل انحسار الإسلام عن الحياة جهل مثلك وأمثالك بالحضارة الكبرى التي أقام صرحها الإسلام في تاريخ البشرية.

ماكان بالإمكان إطلاقًا أن تخضع أمتنا لسيطرة القوى الكبرى لو حافظت على ارتباطها بثقافتها الأصيلة. كلّ جهود المستعمرين انصبت على قطع صلة الأمة بتراثها الحضاري. ولقد شاهدنا بأمّ أعيننا الجهود الضخمة التي بذلت فيما يسمّى باحتفالات «ذكرى مرور ألفين وخمسمائة عام على تأسيس الشاهنشاهية»!![1] من أجل إبعاد الحضارة الإسلامية عن مسرح تاريخ هذه الأمة.

---

١ -هي الاحتفالات الضخمة الباذخة التي أقامها نظام الشاه في إيران، وتمركزت في شيراز، وأعقبها تغيير التاريخ الهجري الشمسي إلى تاريخ شاهنشاهي، أي مبدؤه إقامة النظام الشاهنشاهي في إيران قبل خمسة وعشرين قرنًا (م).

لا بأس أن أذكر هنا مثالاً آخر على محاولات النظام المندحر في هذا المجال.

قبل أن يغلق النظام البائد «حسينية إرشاد»[1] كانت الإعلانات المرتبطة بدروس الحسينية ومحاضراتها تنشر في الصحف، بشكل رتيب، ولم تحذف الرقابة تلك الاعلانات، الا اعلانًا واحدًا.

هذا الإعلان كان يرتبط بمحاضرة، تقرر أن ألقيها في الحسينية المذكورة حول حرق مكتبات مصر وإيران، وحول اختلاق قصة حرق المسلمين لهذه المكتبات.

وأردتُ أن اَدرج هذا الموضوع في كتاب «الخدمات المتبادلة بين إيران والإسلام»، لكني علمت أن الكتاب سوف لا يسمح له بالنشر إن فعلت ذلك.

هذه الحادثة تميط اللثام عن الاتجاه الإعلامي للنظام البائد. أراد هذا النظام أن يغرس في اذهاننا أن الإسلام لم يبن أيّة حضارة، بل أباد الحضارات السابقة.

قلت لذلك الأخ السائل: ربما كان اعتراضك صحيحًا لو أنّ الإسلام لم يبنِ في تاريخه أية حضارة، لكن العالم الإسلامي فرض سيادته العلمية والثقافيّة على المعمورة لمدة خمسة قرون، وأوربا اليوم مدينة للحضارة التي شيّدها الإسلام. وإنه لواضح لديّ

---

١ -مركز علمي تعليمي بطهران، كانت تلقى فيه المحاضرات والدروس التنويرية.

كوضوح الشمس أن الفلسفة الاجتماعية الإسلامية متفوقة على فلسفة الحياة الغربية تفوقا كبيرًا.

انتصار نهضتنا في المستقبل يرتبط إلى حد كبير بإيماننا بأنفسنا، وبقدرتنا على إحياء القيم الإسلامية الأصيلة.

لو واصلنا طريقنا على أساس الموازين الإسلامية، وأزلنا مفاسد مجتمعنا ومعايبه على هذا الاساس أيضًا، وتحلّينا بالصبر والتقوى وبروح الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكان انتصارنا حتميًا لا شك فيه.

انظر إلى الحركة الفلسطينية، ستجد أنّ بطأها في تحقيق أهدافها يعود بالدرجة الأولى إلى عدم نقائها الإسلامي، وإلى وجود تيارات شيوعيّة في داخلها[1].

وفي أحداث نهضتنا هذه، رأينا أن شهادة شاب مسلم تؤدّي إلى تصاعد الثورة واستفحالها، بينما يؤدّي مقتل فرد من المجموعات غير المسلمة إلى بطء حركة النهضة، وذلك لأن الجماهير كانت على علم بآراء هذه المجموعة بشأن الكون والحياة والمجتمع.. وكانت الجماهير تخشى دومًا أن تقع السلطة بأيدي هذه

---

١ -جرت هذه المقابلة حين كان الصوت الإسلامي في حركة التحرر الفلسطينية باهتًا، ولكنّ الثورة الإسلامية في إيران أحيت الروح الإسلامية لدى الفلسطينيين، وانبثقت الحركات الجهادية الإسلامية بين الشعب الفلسطيني، وتحولت فلسطين بعدها إلى رقم صعب في معادلات السياسية الدولية. غير أن هذه الروح الإسلامية تواجه لحظة كتابة هذه السطور حربًا شعواء من «امبراطور» واشنطن وأياديه في المنطقة. ولله الامر من قبل ومن بعد(م) .

المجموعات اللاإسلامية إن سقط النظام الشاهنشاهي.

النظام البائد كان على علم بنفور الناس ومقتهم للماركسية حين أطلق على المسلمين المناضلين اسم «الماركسيين الإسلاميين».

لقد بدأ المسلمون يعون في كلّ العالم أنّ الطريق الوحيد لتحرّرهم من قيودهم وأغلالهم ينحصر باعتمادهم على قدرتهم[1].

تاريخنا المعاصر أثبت بوضوح أن الشيوعية والإمبريالية على تناقضهما الظاهري ـ كشقي مقص ـ اجتمعنا على هدف واحد.

اعتقد أنّ الوقت قد حان ليرتفع نداء العودة إلى الإسلام لا في مجتمعنا حسب بل في جميع العالم الإسلامي، ولو قُدّر لهذا النداء أن يرتفع، لسمعنا معه أصوات تحطّم السلاسل والقيود التي تكبّل مسيرة هذه الأمة وطاقاتها، ولشهدنا ولادة الأمة الإسلامية المقتدرة من جديد.

---

١ -شاهدنا خلال العقود الثلاثة الأخيرة بعد إجراء هذه المقابلة مظاهر صحوة امتدت من طنجة إلى جاركاتا، لكنها لم تخل من اختراقات.. ومن إفراط وتفريط.. وعسى أن تتجه نحو ترشيد يعيد لأمتنا عزتها وكرامتها بين أمم الأرض(م) .

السيدة زينب وعزة المجتمع الإسلامي

• لا نستطيع أن نفهم دور السيدة زينب إلا إذا فهمنا المشروع الإسلامي العام • المجتمع الإسلامي مُني بالذُل فسُفِكَ دَمُ الحُسين• الحسين جاء إلى كربلاء من أجل إعادة العزة الإسلامية • الازدهار الحضاري في التاريخ الإسلامي مَدين لحادثة كربلاء • مواقِفُ زينب تدلُ على خلفية تربوية عظيمة • إذا لم ينهزم الإنسان نفسيًا فإنه يستطيع أن يحول الهزيمة إلى نصر • حياةُ السيدة زينب من كربلاء حتى وفاتها مُفعمةٌ بصور العِزة والكرامة.

السيدة زينب بنت علي باعتقادي غائبة عن أذهاننا وأفكارنا وأعمالنا وأرواحنا كغياب المشروع الإسلامي بشكل عام، فنحن لا نستطيع أن نفهم السيدة زينب إلا إذا فهمنا مشروع السيدة زينب بأجمعه ومشروع كربلاء بأجمعه، ولا يمكن أن نفهم مشروع كربلاء إلا إذا فهمنا المشروع الإسلامي بشكل عام.

إن الإسلام الذي منَّ الله به على البشرية وجاهد في سبيله

المجاهدون، وضحّى في سبيله أئمة أهل البيت، هذا الإسلام العظيم الذي أستطاع أن يحول مجتمعًا بدويًا متفرقًا إلى أمة هي خير أمة أخرجت للناس، ما هو هدفه؟ أو ما هو المقصد النهائي له؟ في الواقع، نحن وإن كنا نعيش الإسلام في عبادتنا ومناسكنا وقسم من أخلاقنا وتصرفاتنا، لكننا لم نتعمق في المفصل الأساسي للإسلام, أو المفصل الأساسي في كل الأديان، فالأديان الإلهية كلها تتجه اتجاهًا واحدًا. ما هو الهدف الأساسي؟ أهداف الإسلام كثيرة, ولكن ما هو أساس هذه الأهداف الذي تتفرع عنه سائر الأهداف الأخرى؟

طبعًا للمفكرين آراء مختلفة في هذا الأمر وأنا أدلي بدلوي في هذا المجال وأقول إن الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى من صلصال من حمأ مسنون, يعني خلقه الله من طين بكل ما لهذا الطين من خصال تشد الإنسان إلى الأرض، أي إن الإنسان مشدود باحتياجاته المادية إلى الأرض مثل سائر الحيوانات لأنه مخلوق من صلصال من حمأ مسنون فيمتلك كل خصائص الحيوانات التي تشده إلى الأرض من طعام ومتاع وغيره، ولكنه يختلف عن سائر الحيوانات بأنه يمتلك نفخة رب العالمين، كل الأديان الإلهية جاءت من أجل تركيز هذه النفخة الإلهية في نفس الإنسان، من أجل أن لا تستولي نزعة الطين على نزعة نفخة روح رب العالمين. الإنسان مشدود إلى الدنيا ومتاعها وشهواتها لأنه خلق من صلصال من حمأ مسنون ولكن من أجل أن لا تختفي نفخة روح رب العالمين

من وجود الإنسان وتظل نابضة فيه جاءت الرسالات وأُرسل الأنبياء لتتحقق كرامة الإنسان التي تتلخص في إحياء نفخة روح رب العالمين فيه, فكلما قويت نفخة روح رب العالمين في الإنسان قويت كرامته وكلما ضعفت هذه النفخة انقلب الإنسان من الكرامة إلى الذل ومن العز إلى الذل. وهناك تعارض مستمر بين كرامة الإنسان وبين نزعاته المادية ومما قاله أمير المؤمنين (ع): «من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته» ، أي أنك إذا رأيت إنسانًا لا يعيش إلا من أجل متطلباته المادية فاعلم أن ميزان الكرامة قد هبط فيه, وإذا كان الإنسان يحس بعزة وكرامة فإن ضغط الشهوات والحياة الدنيا يقل عنده.

المجتمع الإسلامي بسبب ظروفه التاريخية مُني بالذل فسُفك دم الحسين. وهنا نحتاج إلى استعراض الظروف التاريخية التي مرت بالمجتمع المسلم بعد وفاة الرسول (ص) خاصة بعد انتهاء الخلافة الراشدة ومقتل أمير المؤمنين وتسلط الحكم الأموي، فنرى كيف أن المسلمين انحدروا في هاوية الذل وأصبح المجتمع المسلم يعيش في حالة من الإرهاب والخوف، ولا يفكر إلا بمتطلبات حياته اليومية ولقمة عيشه ومكان يأمن فيه وخسيس من العيش يبقى فيه حيًا ,

هذه الحالة التي وجدت في المجتمع المسلم مضادة لكل أهداف الأنبياء وكل ما جاء به رسول الله من مهمة وكل ما ضحى من أجله أئمة أهل البيت لأنها مضادة لعزة الإنسان المسلم.

في وقت من الأوقات ظهر في إيران كتاب اسمه (الشهيد الخالد) وطرح مسألة هي أن الإمام الحسين (ع) جاء إلى العراق من أجل مهمة كبيرة جدًا هي إقامة دولة إسلامية. فعارض بعض المعارضين قائلين بأن الحسين كان يعرف أنه لا يستطيع أن يقيم دولة وكان يعرف الظروف، ودار نقاش كبير في هذا المجال: «ما هو هدف الحسين من المجيء إلى كربلاء ؟», لكن الشيء الوحيد الذي لم يطرح في هذا الجدل هو أن الحسين جاء من أجل إعادة عزة الأمة الإسلامية، وعزة الأمة الإسلامية أهم من الدولة الإسلامية. لأن هدف الدولة الإسلامية هو تحقيق عزة الإسلام والمسلمين وفي الدعاء نقول: «اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله» , لماذا «نرغب إليك في دولة كريمة»؟ لأنها «تعز بها الإسلام وأهله)، فالعزة وكرامة الإنسان هي المهم لأنها تساوي نفخة روح رب العالمين فيه، وتساوي الحركة الحضارية للإنسان. إذا فقد الإنسان المسلم والمجتمع المسلم الكرامة عندها تقف حركته الحضارية, وكل ما سجله المسلمون في حركتهم الحضارية إنما هو بسبب إحساسهم بالعزة والكرامة. فالعالِم يحس بعزته وكرامته فيعمل من أجل العِلم، وكذلك الطبيب والمهندس والفلكي والفقيه والمفكر، والمسيرة الحضارية للمجتمع المسلم تتوقف عندما يفقد عزته وكرامته. ومن هنا نفهم أن الإمام الحسين حينما جاء إلى كربلاء ليعيد للأمة عزتها وكرامتها ويسجل موقفًا يحرر به النفوس الميتة ويحطم الجمود

الذي خيم على المجتمع الإسلامي بسبب حالة الذل التي سيطرت عليه إنما بعث مسيرة الحركة الحضارية الإسلامية، ولولاه لتوقفت، وما شهدنا تلك المسيرة الحضارية على الإطلاق.

كل ما حدث في القرنين الرابع والخامس من ازدهار حضاري في حقول المعرفة المختلفة إنما هو مدين لحادثة كربلاء التي أعادت للأمة عزتها بعد أن كادت تفقد كل شيء، تفقد إنسانيتها وإحساسها بالعزة وبذلك تتوقف مسيرتها الحضارية.

ويجب أن نفهم الإمام الحسين وزينب في هذا الإطار, فالسيدة زينب واصلت ما نهض به الإمام الحسين. الحسين بدمه وشهادته وتضحيته وموقفه قال للمسلمين: «هيهات منا الذلة»، وهذا هو أهم شعار طرح في كربلاء, من أجل أن يعيد للمسلمين إحساسهم بالعزة والكرامة، وهذا الإحساس أساس كل حركة حضارية في المجتمع المسلم، وهو الشعار الأهم الذي طرح في أيام الثورة الإسلامية في إيران, والإيرانيون كانوا يتدفقون إلى الشوارع وكلهم يرفعون هذه اللافتة «هيهات منا الذلة».

إذًا روح الحسين استمرت في إعطاء دم جديد للشعوب الإسلامية على مر العصور حتى يومنا هذا. وما سجله الأبطال المجاهدون في جنوب لبنان إنما كان من شعاع نور الحسين ومن دم الحسين الذي يجري في دم هؤلاء الشباب فطلبوا العزة والشهادة من أجل أن يحققوا النصر لأمتهم.

السيدة زينب واصلت بدقة وببرنامج واضح ومنظم ما نهض به

الحسين من أجل بعث روح العزة في الأمة. وكانت مهيأة تربويًا في بيت أمير المؤمنين وعند أخويها الحسن والحسين من أجل أن تنهض بهذا الدور، والوثائق الموجودة عندنا تؤكد أن هذه المرأة لم تولد في كربلاء وإنما في بيت أمير المؤمنين، وكل مواقفها تدل على خلفية تربوية عظيمة حظيت بها هذه المرأة, وإلا فكيف يمكن لامرأة في ليلة عاشوراء، حيث تعرف أن أخوتها وأهل بيتها سيقتلون وأنها ستقع سبية في يد أجلف أجلاف الناس، كل ذلك تعلمه والدلائل كانت واضحة تمامًا والحسين صرح بذلك لأهل بيته وأصحابه, في ذلك الموقف الرهيب الذي يدك الجبال ويتزلزل به الرجال يوصي الحسين أخته فيقول: «اذكريني في نافلة الليل», هذا كلام لا يمكن أن أعبر عنه أو أن أصفه!! كم كانت هذه المرأة عظيمة وكبيرة وكم كانت خلفيتها التربوية هائلة بحيث يخاطبها الإمام الحسين بهذا الخطاب!! وهذا برأيي كاف ليوضح أن هذه المرأة كانت معدة إعدادًا كبيرًا لأن تنهض بمسؤولية كبرى بعد مقتل الحسين, وهذه وثيقة تاريخية يذكرها المؤرخون.

وهناك وثيقة تاريخية أخرى تدل على أن هذه المرأة كانت غير عادية، وهي موقفها عند جسد أخيها، وتعرفون كم كان هذا الجسد مصابًا بالطعنات وبالرماح وبالسيوف وقد احتز رأسه، وهذا منظر لا يمكن أن نطيقه وقد نرى هذا المنظر في الصور فترتعد فرائصنا بعد ١٤٠٠ سنة, أما هي فعندما رأت هذا المشهد حيًا في كربلاء قالت: «اللهم تَقبَّلْ منَّا هذا القربان»، وهذا لا

يمكن أن يصدر من امرأة عادية ولا بد أن التربية التي حظيت بها هذه المرأة في مدرسة أمير المؤمنين ومدرسة أخويها الحسن والحسين كانت على درجة أهّلتها لهذه المكانة العظيمة.

ثم بعد كربلاء ماذا فعلت؟ كل ما فعلته يمكن أن نصوغه في عبارة واحدة وهي نفس هدف الحسين (بعث روح العزة في نفوس المسلمين)، وكان لها مشروع كبير وعظيم في هذا المجال وسأذكر لكم بعضًا من مواقفها في هذا الحين:

-عدم الشعور بالهزيمة:

أنتم تعرفون أن الإنسان قد يفشل ويهزم ظاهريًا في مجال من المجالات ولكنه إذا انهزم نفسيًا فقد انهزم في الواقع، ولكنه إذا لم ينهزم نفسيًا فإنه يستطيع أن يحول هذا الفشل إلى نصر. كم من التجار فشلوا في تجارتهم وكم من المجاهدين أخفقوا في أعمالهم الجهادية ولكن لم تدخل الهزيمة في نفوسهم فاستطاعوا أن يتغلبوا عليها وأن يحولوها إلى نصر.

في الواقع أن الإنسان هو الذي ينهزم والظروف الخارجية قد توحي بأن هنالك هزيمة ولكن الهزيمة الحقيقية هي في داخل النفس. إذا انهزم الإنسان نفسيًا فهي الهزيمة الواقعية والسيدة زينب لم تنهزم نفسيًا قط . وكل مواقفها تدل على أنها كانت واقفة كالجبل أمام كل ما عانته وواجهته.

يقول الراوي عن السيدة زينب بعد واقعة كربلاء: «نظرت إلى

زينب بنت علي فلم أر خَفِرة أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين». مع أن الحوادث التي مرت على السيدة زينب تخرس الخطباء وأصحاب الأدب والشعر وذوي اللسان الطليق!! يتابع الراوي: «وقد أومَأَت إلى الناس إن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكتت الأجراس» ، بإشارة واحدة من هذه المرأة العظيمة خيم السكوت على هؤلاء الناس. وهذا يدل على أنها لم تنهزم على الإطلاق بل حافظت على رباطة جأشها وقدرتها وقوتها في هذا الموقف الرهيب.

ثم يقول الراوي عن أهل الكوفة: «لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم على أفواههم ورأيت شيخًا واقفًا إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم خير نسل لا يُخزى ولا يبزى» أي لا يتطرق إليه غلبة أوغل، لا يُغَل ولا يُغلَب ولا يُخزَى.

وفي موقف آخر دخلت السيدة زينب وهي متنكرة على عبيد الله بن زياد الطاغية الذي يشعر بأنه استطاع أن يقوم بعمل كبير بقتل الحسين. دخلت عليه زينب ولم تعبأ به على الإطلاق فمضت حتى جلست بناحية من القصر وحفَّت بها النساء, فاستشاط الطاغية غضبًا وقال: «من هذه التي جلست ومعها نساؤها ؟» فلم تجبه السيدة زينب. فأعاد السؤال ثانية وثالثة فقالت بعض النساء: «هذه زينب بنت رسول الله» . لاحظوا عظمة الموقف فهي لا تجيبه

إذ يكـــرر الســـؤال ثلاثًـــا وعنـــدها تجيبـــه إحـــدى النســـاء . هذه المواقف وأمثالها تدل على أن هذه المرأة لم تشعر على الإطلاق بهزيمة نفسية بل تشعر بأنها انتصرت وحققت ما أراد أخوها لهذا المجتمع حيث واصلت هذه المهمة.

- المحافظة على روح العزة:

يقول المؤرخون إن السبايا عندما دخلوا إلى جانب المسجد الأعظم في الشام كان من الطبيعي أن تزورهم النساء، فخشيت السيدة زينب أن النساء إذا دخلن على نسوة آل رسول الله فإنهن سيشعرن بالذل تجاه هؤلاء النساء الأحرار في الوقت الذي كن فيه أسارى، فقالت السيدة زينب: «لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أم ولد فإنهن سُبِينَ كما سبينا»، أي أن لا تدخل علينا إلا النساء اللاتي يشاركننا في هذه المأساة العاطفية وهذه التجربة، لأنهن يعرفن ما نعاني منه، أما البقية فلا يدخلن علينا وهذه مسألة نفسية يجب أن نقف عندها بدقة، فعندما يمرّ المرء بحالة خاصة يجب أن لا يعاشر إنسانًا يشعر بالذل أمامه.

في حالة أخرى يروي المؤرخون أن الناس تجمعوا حول أطفال الحسين يقدمون لهم الطعام فصرخت زينب: «إن الصدقة حرام علينا أهل البيت». انظروا كيف تغرس روح العزة في نفوس أهل بيت رسول الله وفي نفوس الآخرين حتى يعرفوا كم هؤلاء الناس هم أعزة وكرام، فكان الطفل -وهو جائع - يلفظ اللقمة من

فمه ويرميها قائلاً: «إن عمتي قالت إن الصدقة حرام علينا أهل البيت»، ليس المهم هو الجوع بل المهم هو العزة وأمامي آلاف المواقف التي تدل كلها على أن هذه المرأة أرادت أن تواصل مشروع أخيها في غرس روح العزة.

انظروا كيف تخاطب يزيد: «كِدْ كيدَك واسعَ سعيَك وناصِبْ جهدَك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميتُ وحيَنا ولا تدركُ أمدَنا ولا ترحض عنك عارَها وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكثر له الثواب ويوجب له المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل».

من هو المنتصر السيدة زينب أم يزيد؟ هذا منطق لا يمكن أن نفهم منه أن المنتصر هو يزيد بل زينب هي المنتصرة، الحسين هو المنتصر. بودِّي يا إخواني أن تطالعوا حياة السيدة زينب من كربلاء حتى وفاتها . فسوف لن تجدوا فيها إلا صور العزة بعد العزة وبعث روح الكرامة في نفوس الأمة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأن نعيش روح الحسين, وثورة الحسين, ونهج الحسين, ونداء الحسين, ونداء زينب فإنه نداء العزة والكرامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإسلام مصدر القدرة

• عامل الإمداد الغيبي يمنحُ الإنسان المؤمن طاقة جبارة • كُلّ انحراف عن الدين هو انحرافٌ عن الفِطرة • عامِلُ الفِطرة عُنصرٌ من عناصِر قوة الدين الإلهي • الدينُ الإلهي يرفعُ همومَ الإنسان إلى هموم رسالية واسعة • المساواة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام تجعلُ الأفرادَ أكثر استجابةً لعملية البناء • تعامل الدولة الإسلامية على الساحة الدولية يؤدي إلى إيقاظ الضمير الإنساني.

حينما «تحرّكت» المجموعة المؤمنة في صدر الإسلام لإقامة حكم الله في الأرض تحقّقت «معجزة» يقف كل الباحثين أمامها اليوم مذهولين مبهورين.

هذه المعجزة تمثلت بالدرجة الأولى في التغيير الكبير الذي طرأ على شتات من الناس المتفرقين، المتصارعين، البعيدين عن الحضارة السائدة يومذاك، فخلقت منهم مجموعة متخلّقة بأسمى الصفات الإنسانية وأنبلها، ودفعتهم لبناء الدولة الإسلامية والى حمل مشعل الإسلام إلى العالم بأجمعه، متحدية كل طواغيت العالم.

وهذه الظاهرة الإعجازية لها ثلاثة عوامل:

١ – عامل الإمداد الغيبي.

٢ -عامل الفطرة الإنسانية.

٣ -عامل طبيعة الرسالة الإسلاميّة.

عامل الإمداد الغيبي

هذا العامل يلغي كثيرًا من الحسابات المادّية التي تقيم معادلاتها على أساس الأرقام البحتة، ويضفي على تعامل الإنسان مع العالم المحسوس طابعًا جديدًا لا يفهمه الراسفون في اغلال القيود المادّية.

وهذا العامل ـ إضافة إلى دوره الموضوعي العملي المشهود في الحياة الخارجية ـ يزيل كلّ عوامل الضعف والخور والاستكانة، ويمنح الإنسان المؤمن طاقة جبارة تتهاوى أمامها الصعاب والمشاكل والعقبات.

الإمداد الغيبي في حياة المجموعة المؤمنة يتجسد في دعم جبهة الإيمان وتثبيتها، وفي زلزلة جبهة الكفر وارعابها:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ

الأَقْدَامَ، إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ .

كما يتمثّل الإمداد الغيبي في انفتاح الآفاق الصحيحة السليمة، والطرق السوية المستقيمة أمام الأمة المجاهدة المتحركة على طريق الله:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

بينما جبهة الكفر تتخبّط (كَمَن مثله في الظلمات ليس بخارج منها).. والكافرون في تخبطهم هذا يساهمون في تحطيم أنفسهم من حيث لا يشعرون:

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ .

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾.

عامل الفطرة الإنسانيّة

الفطرة الإنسانية هي طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها، وهي ثابتة منذ أن خُلق الإنسان على هذا الشكل، والدين الإلهي جاء منسجمًا مع هذه الفطرة، ومتناسقًا معها.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا

تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وكلّ انحراف عن الدين، إنّما هو انحراف عن الفطرة، عن الطبيعة الإنسانية السوية المستقيمة. ومن هنا فالإنسان المنحرف عن دين الله يبقى تائهًا حائرًا لا يشبع ولا يرتوي ولا يقرّ له قرار، لأن طريقه لا ينسجم مع طبيعته وفطرته، وكلّ ما يركض وراءه يجده سرابًا لا يروي ظمأ نفسه المتعطّشة إلى طريق الفطرة:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

الدين الإلهي يتجه إلى مخاطبة الفطرة الإنسانية، ويطمح أن يهدي الإنسان إلى طريق الفطرة.. طريق دين الله.. مهما بلغ انحراف هذا الإنسان.. حتى ولو كان هذا الإنسان المنحرف فرعون:

﴿اذْهَبَا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

ولئن لم يستطع فرعون أن ينقذ نفسه من أغلال انحرافه واستكباره، فقد استطاع سَحَرة فرعون أن يتغيروا تغيّرًا عظيمًا ويعودوا إلى فطرتهم.

هؤلاء السحرة كانوا يعيشون آمال أجر فرعون والزلفى منه:

﴿ وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ، قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

لكنهم انصاعوا لنداء الفطرة، بعد أن انكشفت لهم تفاهة أعمالهم، وصمدوا أمام تهديد فرعون ووعيده، مؤثرين الإيمان على فرعون وعطاياه وسخطه وتعذيبه:

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى، قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى، قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

ويبقى عامل الفطرة يشكّل عنصرًا من عناصر قوة دعوة الدين الإلهي في كل زمان ومكان.

عامل طبيعة الرسالة الإسلامية

الرسالة الإلهية تتميز بخصائص، تجعلها قادرة على خلق الإنسان المتحرّر من كل القيود المادّية، والمتعالي على الانشداد البهيمي بالأرض، والمتطلّع إلى آفاق إنسانية بعيدة. ومن هذه الخصائص:

ألف ـ قدرة التحريك الدائم: فالرسالة الإسلامية تطرح صفات الله، وتطلب من الإنسان لأن «يتخلق بأخلاق الله» وهي صفات تكاملية مطلقة، لا تكاد المجموعة المسلمة تقطع شوطًا على طريق الالتزام بها حتى تنفتح أمامها آفاق أرحب وأوسع، ولذلك

تبقى مسيرة الأمة الاسلامية تقطع طريق تكاملها دون أن يحدّها حدّ، خلافًا للمدارس الأرضية التي ترسم أمام الإنسان آفاقًا محدودة ضيقة، بما في ذلك المدرسة الشيوعية، التي تضع قضية إقامة المجتمع الشيوعي هدفًا نهائيًا أعلى للمسيرة البشرية.

وهذا الهدف المطلق يظلّ دائمًا مصدر تحريك وعطاء للمجموعة المسلمة:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

وهذه الأهداف التكاملية الواسعة هي التي حركت المجموعة المسلمة في صدر الإسلام، وامدّتها بالعزم على تحرير العالم مما يعانيه من ظلم واستعباد واستضعافK وجعلتها تتحدى عروش قيصر وكسرى من أجل إخراج عباد الله من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن ظلم المستكبرين إلى عدل الإسلام.

ب ـ قدرة الدين الإلهي على تحرير الإنسان من قيود شهواته

المادية ومن الإنشداد إلى الدنيا، وبذلك يرتفع الإنسان إلى مستوى تحمّل الأعباء الرسالية، ومستوى الشعور بالمسؤولية:

المفاهيم التي يقدمها الإسلام عن الدنيا والآخرة، ويربّي المجموعة المسلمة عليها، تجعل أفراد هذه المجموعة سعادة الآخرين وتنقلهم من همومهم الصغيرة التافهة، إلى هموم رسالية واسعة بعيدة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

هذه التربية الإسلامية تجعل من الدنيا في نظر الإنسان المسلم طريقًا للآخرة، وتحوّل الحياة إلى مسرح للبناء والعمل الصالح بدلا من أن تكون مسرحًا للتنافس المحموم على المال والمتاع:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

هذه التربية تحرّر الإنسان من مغريات الأرض، وتخلق منه الفرد المسؤول الذي يواجه مسؤوليات البناء بصدر رحب ونفس قوية ومعادلة حسابية رابحة لا موضع فيها للخسارة بحال من الأحوال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ج- زوال ظاهرة الاستضعاف من المجتمع الإسلامي:

المجتمعات الجاهلية (غير الإسلامية) تنقسم إلى فئتين: مستضعفة ومستكبرة، وهذا الانقسام يتخذ أشكالا مختلفة باختلاف شكل المجتمع الجاهلي، غير أن كل الاشكال تتجه نحو استغلال طاقات الأفراد واستثمارهم في الحقول السياسية

والاقتصادية والفكرية.

في مثل هذا المجتمع تتجه طاقات المستكبرين نحو امتصاص دماء المستضعفين واستثمار إمكاناتهم كما تتجه طاقات المستضعفين نحو إرضاء شهوات مستثمريهم. بينما يزيل الإسلام كل ألوان الاستثمار والاستغلال، وتتحرّر الطاقات، طاقات المستكبرين التي كانت متجهة نحو الاستغلال، وطاقات المستضعفين التي كانت مقيّدة في إطار إرضاء شهوات الآخرين.

هذه الطاقات المحررة قادرة على النمو والإبداع وبناء المجتمع الرائد وهذا ما حققته الأمة الإسلامية في مطلع تاريخها بعد أن تحررت، في إطار الإسلام، من علاقات الاستغلال والاستثمار.

د – المساواة بين الحكام والمحكومين في المجتمع الإسلامي:

فالحكم في الدولة الإسلامية ليس حِكرًا على فئة معينة، بل إن الامة المسلمة بأجمعها تتحمل مسؤولية خلافة الله في الأرض بعد أن ترتفع إلى مستوى هذه المسؤولية، وتتسلم دورها القيادي.

إسهام جميع أبناء الأمة في إدارة أمور الدولة الإسلامية، وتحميل كلّ الأفراد مسؤولية الرعاية، يزيل جميع ألوان الديكتاتورية، ويفجّر الطاقات في أبناء الأمة كما يوسّع القاعدة الجماهيرية للحكم ويصون الجهاز الحاكم من الانفصال عن الجماهير.

ومن جهة أخرى، تتمثل ظاهرة المساواة بين الحاكم

والمحكومين في المجتمع الإسلامي، بإلغاء كل امتياز يختص به المسؤولون بل أكثر من ذلك تتمثل في ضرورة ابتعاد كلّ ما يميّز الحاكم الإسلامي عن أضعف طبقات الأمّة.

وهذه المساواة لم يطرحها الإسلام على المستوى النظري حسب، كما تطرح اليوم في دساتير بلدان العالم بل حققها على مستوى التطبيق في واقع الحياة.

«في تاريخ التجربة الإسلامية وقف رئيس الدولة الإسلامية الإمام علي (ع) بين يدي القاضي مع مواطن اعتيادي شكاه إلى القاضي. فأحضرهما القضاء لكي يقضي بينهما.

وفي مرة سابقة على ذلك رفع يهودي مواطن في الدولة الإسلامية شكوى على الإمام عليّ في عهد الخليفة عمر، فأحضر عمر اليهودي وابن عمّ رسول الله(ص) معًا في مجلس القضاء، وحينما استمع إلى كلام كل منهما لاحظ على الإمام شيئًا من التأثّر والاستياء، وخُيّل إليه أنّ الإمام ساءه أن يحضر في مجلس القضاء مع مواطن يهودي. فقال الإمام لعمر: إني استأت لأنك لم تساو بينه وبيني إذ كنّيتني أي قلت لي يا أبا الحسن ولم تكنّه).

ولا شك أن هذه المساواة تزيل الفواصل بين الحاكم والمحكومين، وتجعل المواطنين في الدولة الإسلامية أكثر استجابة لعملية البناء التي تقودها الدولة.

هـ - سياسة الدولة الإسلامية على الصعيد العالمي:

تقوم على أساس معايير الحقّ والعدل والالتزام، وهذه السياسة

لا تهادن الظالمين ولا تداهنهم ولا تتزلّف إليهم على حساب المبادئ الرسالية، بل تقول كلمتها لهم صريحة واضحة خالية من كلّ دَجَل سياسي يسود السياسة العالمية اليوم.

كما تقف إلى جانب المظلومين والمستضعفين في كل العالم انطلاقًا من معايير الحقّ والعدل، وبشكل عملي، لا كما يرتفع اليوم في أروقة المحافل الدوليّة من ضجيج مفتعل مسرحي باسم نصرة المظلومين!!

وهكذا فعل القائد الأوّل (ص) في تعامله مع الأنظمة والكيانات القائمة آنذاك.

كما أنّ هذه السياسة تتميّز بالإلتزام بالعهود والمواثيق التزامًا رساليًا، (وفي تاريخ التجربة الإسلامية أمثلة فريدة في هذا المجال)، نجدها حتى في الفترات في التي شحبت فيها التجربة وعصفت بها أهواء كثير من الظالمين ولنذكر مثالاً، لا من عهد الرسول الأعظم والخلفاء، بل من عهد أقل تألقًا منه بكثير، ففي عصر عمر بن عبدالعزيز كان جيش المسلمين بقيادة قتيبة قد اتفق مع أهل سمرقند على بنود معيّنة، ودخل البلد ولم يف لأهل البلد بما اتفق معهم عليه من التزامات، فشكاه أهالي البلاد إلى الخليفة فأمر الخليفة قائده الفاتح وممثلي أهالي البلاد بالمثول بين يدي القاضي ليحكم بينهم بالعدل، فحكم القاضي لأهل البلاد، وألزم الجيش الفاتح بالانسحاب، فهل رأيتم أو سمعتهم أن جيشًا فاتحًا يرغم على الانسحاب، لا من قبل هيئة دولية أو

مؤسسة عالمية بل من القضاء الذي ينتمي إلى نفس الدولة التي ينتمي إليها الجيش؟

إن تعامل الدولة الإسلامية على الساحة الدولية يجسد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ولا شكّ في أن تعامل الدولة الإسلامية على الساحة الدولية بهذه الروح يؤدّي عالميًا إلى إيقاظ الضمير الإنساني وتوعيته على مفاهيم العدل والحق وتحريكه للمساهمة مسيرة العدل على الأرض».

لتملأ روح الفخر والتحرر قلوب كل المسلمين والمحرومين في العالم وهم يرون هذه القيامة التي أقامتها الثورة الإسلامية لكل طواغيت العالم، وليردّدوا نشيد الحرية والتحرر لحياتهم ومستقبلهم، وليضمّدوا جراحهم، فقد ولّى عصر اليأس والقنوط والرضوخ لاجواء الكفر، وازدهرت مروج الشعوب. ومن المؤمل أن يشهد المسلمون تفتّح براعم الحرية، وانتشار شذى عطر الربيع وعودة نظارة زهور الحبّ والعشق وتدفّق زلال ينابيع إرادتهم

الإمام الخميني (رضي الله عنه)

الإسلام يقاوم التقوقع والانعزال

• طرحت مسألة القومية الفارسية في إيران لعزل الإيرانيين عن سائر أبناء الأمة الإسلامية • رضا شاه أراد إلغاء الحروف العربية من اللغة الفارسية ولكنه فشل أمام الروح الإسلامية في إيران • الثورة الإسلامية كسرت الأُطر الجاهلية بما في ذلك إطار القومية العنصرية • حاول المستكبرون وعملاؤهم تحويل الإنسان الإيراني إلى مستهلك جيد للبضاعة الغربية • وضعت الثورة الإسلامية إمام الأمة أهدافاً كبيرةً وبعيدة • أسطورة التخويف تبددت مع اندلاع الثورة الإسلامية • أبناء الجمهورية الإسلامية يساهمون اليوم بشكل فعال في الشؤون السياسية • مشاركة المرأة في الثورة الإسلامية فاقت مشاركة الرجل.

انكسار الإطار القومي الضيق

أصعب ما واجه الرسالة الإسلامية في عصرها الأول، القضاء على الأطر الضيقة التي تعزل أبناء البشر عن بعضهم، مثل الإطار القبلي والقومي والإقليمي والعنصري. ومن أعظم ما حققه الإسلام

كسر تلك الأطر الجاهلية وخلق المجتمع القائم على أساس «الفكرة» و «القيم الإنسانية».

ولعل هذه الحربة كانت أمضى سلاح مارسه الغزو الأوربي للعالم الإسلامي، إذ طرح هذه الأطر الجاهلية ضمن تخطيط دقيق مدروس، مستفيدًا من ضعف الروح الإسلامية في أبناء الأمة ومن رؤوس عميلة موتورة مُعرضة عن كل مقدسات هذه الأمة ومن وسائله الإعلامية المتطورة الدقيقة، وبالتالي من خلو الساحة تقريبًا من القادة الواعين المبدعين.

وفي إيران، طرحت مسألة القومية الفارسية، لعزل المسلمين الإيرانيين عن سائر أبناء الأمة الإسلامية أولاً، ثم لعزلهم عن الأفكار والعواطف الإسلامية ثانيًا.

حاول المخططون ان يركزوا في أذهان الأمة بإيران أن «الغزو العربي»(كذا) قضى على الحضارة الفارسية و «الأمجاد الفارسية» وتأسست مجامع تنهض بهذه المهمة، والى هذا يشير الإمام الخميني(رض) قائلاً:

«في إيران قرع بعض المغرضين والغافلين على طبل القومية، وأرادوا بذلك ان يواجهوا الإسلام.

وقبل سنين ـ وأظن في زمن رضاخان ـ تأسيس (في إيران) مجمع أعد الأفلام والقصائد والمقالات التي تندب الأمجاد الإيرانية. وتأسف على انتصار العرب المسلمين على إيران، وتذرف دموع التماسيح على (طاق كسرى)!

وهؤلاء القوميون الخبثاء بكوا كثيرًا على اندحار السلاطين الفرس على يد الإسلام!

ومثل هذه الروح المعارضة للقرآن أوجدها المستعمرون في البلاد العربية وغير العربية (من حديث الإمام الراحل إلى الوفود المشاركة في مؤتمر القدس ٢٧ رمضان ١٤٠٠هـ).

أوّل من عمل على تنفيذ هذه الخطة في إيران رضا شاه الذي حارب كلّ المظاهر الإسلاميّة من منطلق قومي، وأراد تبديل الحروف العربية المستعملة في اللغة الفارسية الحالية إلى حروف لاتينية، لكنه فشَلَ امام مقاومة الروح الإسلامية (هذه العملية نجحت في تركيا)، وواصل ابنه (الشاه المقبور) تنفيذ هذه الخطة بشكل دقيق مدروس، ولم يتراجع امام المعارضة الإسلامية، بل إنه تجرّأ إلى حدّ كبير في الاستهانة بالمقدّسات الإسلامية عن طريق إشاعة ما يسمى بالروح القوميّة والتقاليد القومية، وعن طريق عزل ابناء الأمة في إيران عن سائر أبناء الأمة الإسلامية العظيمة، وإثارة الحساسيات العرقية والتاريخية التافهة والعنعنات الجاهلية المقيتة، وبلغ به الأمر أن أقام عام ١٩٧١ احتفالاً عالميًا ضخما بمناسبة مرور ٢٥ قرنًا على تأسيس الشاهنشاهية الإيرانية، وكان الهدف من جميع برامجه التأكيد على عظمة الحضارة الفارسية! وعلى أصالة النظام الشاهنشاهي في هذه الحضارة!! ثم أعقب ذلك تبديل التاريخ في إيران من الهجرة النبوية المباركة إلى تأسيس الشاهنشاهية الإيرانية.

منذ الأيام الأولى لبزوغ فجر الثورة الإسلامية في إيران بدأت أحبولة القومية الفارسية تتراجع، وقيود الأفكار القومية الجاهلية تتحطّم، فأمام المدّ الإسلامي تراجع نظام الشاه عن تبديل مبدأ التاريخ، وأعاد التاريخ الهجري، لكنّ هذا التراجع لم يوهن عزم الأمة عن مواصلة ثورتها للإطاحة بالطاغوت، حتى حققت نصرها المبين بإذن الله. وبهذا الانتصار انكسرت كل الأطر الجاهلية، بقوّة الإسلام ، بما في ذلك الإطار القومي واتجهت المسيرة، الاجتماعية في الجمهورية الإسلامية نحو بناء المجتمع الإسلامي الرافض لكل الأطر الجاهلية التافهة، فصدرت:

- قرارات فرض تدريس اللغة العربية في جميع المراحل والفروع الدراسية بمدارس الجمهورية الإسلامية (المادة السادسة عشرة من دستور الجمهورية الإسلامية في إيران).

- وقرارات إزالة حتى (المظاهر) التي يشمّ منها رائحة القومية الإيرانية كشعار الأسد والشمس الحمراء.

- وقرارات محو الآثار والأسماء والتقاليد الفارسية القديمة التي كان يتبجّح بها الشاه المقبور لإحياء «القومية الإيرانية» وإحلالها مكان الروح الإسلاميّة في إيران.

هذه القرارات وأمثالها جسّدت إرادة الأمة في العودة إلى الإسلام، كما جسدت قوة الإسلام في صراعه مع الجاهلية.

انطلاق الأمة نحو آفاق واسعة

حين فقدت أمتنا الإسلامية مكانتها الرائدة على ظهر

الأرض، منيت بهبوط في الآمال والأهداف والتطلعات، وفقدت همّتها وعزيمتها وهمومها الكبيرة، وانشغلت باللذات الآنية الهابطة، وبالهموم الصغيرة، وبنشوات السّمر، ونوادي قتل «الوقت».

استغلّ المستعمرون هذه الروح الهابطة أبشع استغلال، فاشاعوا بين أبناء العالم الإسلامي باسم التحضر والمدنية، روحًا مادية شرهة، وغدا إنسان العالم الإسلامي يعيش هموم البطن والفرج، ويتطلّع إلى الاستزادة من الرفاه الكاذب، وإلى شراء المزيد من البضائع الأوربية البائرة، ويتوق إلى الدعة ويطلب العافية، وينشد الأمن والاستقرار، ويبتعد عن كلّ ما يشكل خطرًا على راحته وعافيته ودعته.

وفي وسط هذا الجوّ الآمن المستقرّ، تمامًا كاستقرار المقابر وأمنها وهدوئها، عبث الطامعون بمقدّرات الأمة، ونهبوا خيراتها وأذلّوا أبناءها وسحقوا مقدّساتها، وسلبوا أرضها.

ولم يكن وضع الأمة في إيران بمستثنى من هذه الحالة العامة في العالم الإسلامي.. بل إن خطة تمييع الشخصية الإسلامية في إيران كانت أوسع وأدقّ وأعمق. إذ حاول المستكبرون وعملاؤهم تحويل الإنسان الإيراني المسلم إلى مستهلك جيّد للبضاعة الغربية، وممولّ مخلص لجيوب الرأسماليين الغربيين، وبائع بثمن بخس ثرواته النفطية والمعدنية والغازية للمستكبرين الغربيين والشرقيين.

وخلقوا في إيران جوًا اقتصاديًا وجنسيًا زائفًا محمومًا جعلوا

الفرد يعيش دوّامة إشباع غرائزه المادّية، وأنّى له إشباعها، لأنه كان يتطلّع إلى «سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءًا، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا... ».

هذه الشرنقة القاتلة تحطمت حين تحرّكت الأمة في إيران على طريق إسلامها، فتبدّلت بشكل سريع وغريب تلك المعايير التي كانت تسيطر على ذهنية الفرد الإيراني، وزالت روح الاستزادة من منتجات الصناعات الغربية، أو التفاخر باقتناء آخر مبتكراتها، واتخذت هذه الروح ـ على السن الجماهير ـ اسم «الروح الطاغوتية»، كما نبذ أبناء الأمة طلب الدعة والراحة والرفاه الكاذب، وبدأوا يتسابقون في عملية الهدم والبناء، ويتنافسون في المساهمات الاجتماعية الجادّة، ويجدون لذّتهم في خدمة المجتمع والعمل من أجل الإسلام.

من مظاهر هذه الانطلاقة الإسلامية السامية تطلع أبناء الأمة في الجمهورية الإسلامية إلى أهداف بعيدة تتمثل في اقامة حكومة إسلامية عالمية، وحمل «لواء لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله» إلى كل العالم.. ومن مظاهرها أيضا اهتمام أبناء الأمة بأمور المسلمين والمستضعفين في جميع العالم. أضحى رجل الشارع في إيران يعيش هموم المجاهدين المسلمين ومحنتهم في العراق وفلسطين وارتيريا والفلبين وغيرها من بقاع العالم الإسلامي، ويعيش هموم الأمة الغافلة عن إسلامها وعمّا يريد بها المستعمرون الطامعون.

وهكذا أخرج الإسلام أبناء هذه الأمة من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن الهموم التافهة الصغيرة إلى الهموم الرسالية الكبيرة،

ومن الانهماك في اللذات الآنية التافهة في المقاصف والمنتجعات إلى طلب اللذات الإنسانية السامية في ساحات معركة الشرف والكرامة والهدم والبناء.

تجمّع أبناء الأمّة

من خصائص المجتمعات الجاهليّة تفرّق أبنائها وتشتتهم واستفحال روح العداء بينهم، والعلاقات التي تسود بين أبناء هذه المجتمعات هي غالبًا «مصلحية» لا «إنسانية».

والمجتمعات المسلمة المستضعفة التي تعيش تحت أنظمة جاهلية تتجه ـ بفعل تخطيط الطواغيت المسيطرين عليها ـ نحو التفرّق والتشتت، وتناسي القيم الإنسانية في الروابط والعلاقات.

الخطة الاستعمارية بدأت في إيران على هذا الصعيد من فصل الأمة عن قادتها الإسلاميين، ثم فصل المثقفين عن جماهير الأمة، ثم نشر روح الصراع المادّي بين الجماهير، واسفرت عن تفرّق اجتماعي عجيب. وهذا الوسط المتفرّق المتناحر كان عاملاً آخر من عوامل تغلغل السيطرة الاستعمارية في جسد هذه الأمّة.

الرسالة الإسلامية التي استطاعت أن تجمع شتاتًا من الناس في فجر الإسلام الأوّل، عادت لتسجّل في إيران انتصارًا آخر، حين دفعت بأبناء الأمة لأن يلتفّوا حول قيادتهم الحقيقية وأن ينظّموا أنفسهم في المساجد تحت قيادة علماء الدين والقادة المسلمين، ويندفعوا يدًا واحدة وقلبًا واحدًا نحو الإطاحة بعرش الطاغوت.

هذه الأمة، التي أريد لها أن تعيش في صراع دائم مع بعضها،

وحّدت خطاها واتجهت لمقارعة مذلّيها والمستهينين بمقدّساتها والمتلاعبين بمقدّراتها.

الشباب، الذين كانوا يتسكّعون قبل اندلاع الثورة الإسلامية في الشوارع والطرقات، ويشغلون أنفسهم بالتوافه ويمارسون ألوان الانحرافات، دفعهم الجوّ الإسلامي الثوري إبّان اندلاع الثورة، إلى الانخراط في المساجد والنهوض بألوان الأعباء الثورية.

وبعد انتصار الثورة، اندفعت الجماهير نحو إنشاء المؤسسات الثورية مثل: اللجان المحليّة، ومؤسسة الشهداء، وجيش العشرين مليون، ولجان الإمداد، والاحزاب والمنظمات الإسلامية، لتساهم في دفع عجلة الثورة الإسلاميّة.

وعادت الأمة بفضل إسلامها إلى الانضواء عمليًا وقانونيًا، تحت قيادتها الدينية المتمثلة في «المرجعية»، وبذلك توحّدت القيادة الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية في الجمهورية الإسلامية، كما توحّدت خطى أبناء الأمّة، وتحشّدت طاقاتها من أجل بناء المجتمع الإسلامي.

انكسار حاجز الخوف:

الطواغيت جميعًا ينهجون خطةً واحدةً في ممارسة تسلطهم على رقاب الشعوب وهي بثّ الخوف والرعب في القلوب، وبلغ الأمر في إيران خلال عصر الطاغوت أن كان الأخ يخاف من أخيه، والرجل من صاحبته وبنيه والجار من جاره، إذ أوحوا للمواطنين أن الساواك (منظمة الامن الشاهنشاهية) يحول بين المرء وقلبه، وأنه

يسمع النجوى، ولا تخفى عليه خافية في الليل والنهار!

سياسة التخويف هذه أدّت إلى تفرّق الناس وانزوائهم وابتعادهم عن بعضهم وزوال روح التعاون بينهم إلى حد بعيد، كما أدت إلى شل الأمة عن كل حركة رائدة بنّاءة.

أسطورة الساواك هذه تبدّدت مع اندلاع الثورة الإسلامية وبدى زيفها وتفاهتها أمام إرادة الأمة. فما إن تحركت الروح الإسلامية في النفوس، وطُرحت مفاهيم الشهادة على صعيد عملي حتى تهاوت حواجز الخوف، والتقت الأيدي والقلوب، وخرجت الملايين بقبضات خالية وصدور عارية تتحدى أفتك الأسلحة وأعقدها، ولم تثن عزيمتها المجازر الوحشية التي ارتكبها جلاوزة الطاغوت، بل ازدادت اندفاعًا تطلب إحدى الحسنين: النصر أو الشهادة. فقدمت ستين ألف شهيد خلال عام واحد. وحقّقت نصرها المبين بإذن الله.

هذه الروح الإسلامية لازالت تتحدّى كل سياسات التخويف والإرعاب التي تمارسها القوى الكبرى في الداخل والخارج.

الأبواق الاستعمارية تعزف ليل نهار على نغمة تجمّع أساطيل القوى الكبرى في المياه المجاورة للجمهورية الإسلامية، وتأهّب القوات الأمريكية للتدخل في إيران، والاستعدادات العسكرية في قواعد دول المنطقة، لكن أبناء الأمة في إيران يقفون من كل هذه الأقاويل موقفًا يجسّد محتوى الآية الكريمة:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ

عَظِيمٍ، إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

لقد كان المواطن في إيران يهاب رجل البوليس واليوم يتحدّى كل قوى الشرق والغرب، بفضل إسلامه العظيم الذي ألّف بين القلوب، وكسر إطار تقوقع أبناء الأمة وانعزالهم عن بعضهم.

اغتيال الافراد والشخصيات لون آخر من سياسة التخويف والإرعاب التي مارسها الطواغيت وعملاؤهم في الجمهورية الإسلامية.

أعداء الإسلام استغلوا فرصة زوال الحراسات المشددة والمخفّفة على الشخصيات الفكرية والرسمية في الجمهورية الإسلامية، وفرصة اندماج هذه الشخصيات بالأمة وانتهاجها حياة اعتيادية مثل سائر المواطنين، من أجل القضاء على رجال هذه الأمة في محاولة لإلقاء الرعب في النفوس، وفصل المسؤولين عن الجماهير.

اغتالوا الشهيد مطهري وكان علمًا في فكره، ودعامة كبرى في قيادة الجمهورية الإسلامية.. لكن الذي حدث بعد اغتياله حوّل مطهري إلى خط فكري وعملي يعيش في القلوب والأفكار، وازداد المسؤولون اندماجًا بالأمة.

ثم اغتالوا الشهيد مفتّح والشهيد قاضي طباطبائي والشهيد عراقي وهم من رجال الثورة الإسلامية، واعتدوا على حياة كبار الشخصيات الفكرية والسياسية من أمثال: رفسنجاني، وبهشتي، وخامنئي، والموسوي الأردبيلي، لكن ذلك كله سعّر لظى الثورة، وزاد الناس حماسًا واندفعًا لمواصلة الطريق، ولم تظهر أية بادرة ـ

ولو صغيرة ـ للخوف أو الرعب بين الأمة. وهذه لعمري ظاهرة غريبة لا نستطيع أن نجد لها تفسيرًا سوى قدرة الإسلام على خلق الإنسان المترفع عن كل عوامل ضعف النفس الإنسانية.

مأساة استشهاد ما يزيد على سبعين شخصية إسلامية في حادثة انفجار قنبلة بمركز الحزب الجمهوري الإسلامي (٢٨ حزيران ١٩٨١) بيّنت معجزة الإسلام هذه على أوسع أبعادها.

لقد استشهد في هذه الحادثة الدكتور محمد حسيني بهشتي وهو من أعظم الشخصيات الفكرية والسياسية والقضائية والتنظيمية في إيران، إلى جانب عدد من أهم الوزراء، وعدد من طليعة أعضاء مجلس الشورى الإسلامي.. ومثل هذه الحادثة ـ كما أجمع المراقبون ـ بإمكانها أن تزعزع أركان أعظم دولة، وبإمكانها أن تبثّ في الجوّ رعبًا وخوفًا شديدين.. لكن شيئًا من هذا لم يحدث على الإطلاق.. فتماسك الجماهير قد ازداد، والعزم على مواصلة طريق الثورة الإسلامية قد ارتفع، والفراغ الذي تركته هذه الشخصيات في أماكن أعمالها قد سُدّ في اليوم التالي. والمسؤولون في الجمهورية الإسلامية لم يتراجعوا قيد أنملة عن اندماجهم في صفوف الأمة.

وهكذا مُنيت مرّة أخرى بالفشل الذريع محاولة التخويف والإرعاب ومحاولة إخراج الناس من مسرح الثورة، فلم تهن الأمة ولم تنكل، بل ظلّت في الساحة تقاوم بقوة الإسلام، ولم تفرّقها كل تلك المحاولات.

دخول المحافظين في معركة البناء

ظاهرة المحافظين في عالمنا الإسلامي مشهودة واسعة النطاق، وتتمثل في انعزال قطاع كبير من أبناء الأمة عن مسرح الأحداث، والوقوف تجاه ما يجري في المجتمع من تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية موقف عدم اكتراث. بل موقف تجنّب وابتعاد عن كل ما من شأنه أن يزُجّ الفرد في الساحة.

هذه الظاهرة ذات أسباب فكرية ونفسية عميقة، وعلى رأسها انفصال قيادة المجتمع ومجريات أحداثه عن نفسية الأمة ومزيجها الفكري والحضاري. هذا الانفصال أدّى إلى ابتعاد نسبة كبيرة من أبناء الأمة عن الشؤون السياسية، لأن السياسة أضحت في أنظارهم دجل وخداع وتضليل وانجراف نحو شرق أو غرب، وهذا مالا ينسجم مع أخلاقية العالم الإسلامي.. وإلى الابتعاد عن الإسهام الفعّال في المجال الاقتصادي. لأن الاقتصاد قدّم إلى الإنسان المسلم في إطار معارض لمتبنياته الفكرية والاعتقادية. وأدى أيضًا إلى ابتعاد الأمة عن شؤون إدارة المجتمع، لأن عملية الإدارة تولّتها قيادة ليست منها، إذ لو كانت منها لما بايعت المستعمرين واستسلمت لهم.

ظهور الاتجاهات الصوفية، والمفاهيم الخاطئة عن الصبر والتقية وانتظار الفرج، ناشئ عن هذه الروح المحافظة في المجتمع الإسلامي.

لا أجدني مبالغًا إن قلت: إنّ روح المحافظة والانعزال عن ساحة الإحداث الاجتماعية كانت سائدة في إقليم إيران قبل اندلاع

الثورة الإسلامية على أوسع نطاق.

لكن قطاع المحافظين الواسع دخل الساحة عندما هبّ في المجتمع تيار ينطلق من عواطف هذا القطاع وأفكاره وتطلعاته. فتفاعل مع هذا التيار وساهمَ في معركة الهدم قبل انتصار الثورة الإسلامية، وها هو يساهم في معركة الهدم والبناء في كافة الجبهات.

عملية التصويت على إقامة النظام الجمهوري الإسلامي في إيران اشترك فيها ما يقارب من ٩٩ بالمائة ممّن تتوفّر فيهم شروط الانتخاب، وهذه النسبة المرتفعة اشتركت في انتخابات تعيين أعضاء مجلس دراسة الدستور وفي الاقتراع على الدستور، وفي انتخابات رئاسة الجمهورية وفي انتخابات أعضاء مجلس الشورى الإسلامي.

أبناء الجمهورية الإسلامية يساهمون اليوم جميعًا بشكل فعّال في الشؤون السياسية عن طريق انتخاب كبار مسؤوليهم وعن طريق إبداء وجهات نظرهم ضمن قنوات متعددة، وانتقاد تصرفات المسؤولين، بل وعزلهم إن انحرفوا عن الطريق، حتى ولو كان هذا المسؤول رئيسًا للجمهورية، كما حدث بالنسبة لبني صدر. وهكذا يساهمون في الشؤون الاقتصادية عن طريق جهاد البناء والجهاد الجامعي، وبإنشاء مؤسسات اقتصادية تلبي احتياجات الفرد والمجتمع في شؤون الإقراض والتمويل والإحياء والإنتاج والتوزيع.

ويطول بنا الحديث لو أردنا استعراض هذه المشاركات الجادة في مجالات الدفاع والأمن والإدارة والتوعية، من قِبلَ أناس كانوا بالأمس محافظين متقوقعين منعزلين.

وكلّها يمارسها أبناء الأمة اليوم انطلاقاً من مفاهيم الثواب والقربة إلى الله تعالى، وبمعايير الوجوب والاستحباب والحرمة.

ولا يفوتني أن أذكر تغيّر المفاهيم الخاطئة في أذهان قطاع المحافظين. فمفهوم الصبر الذي كان يعني في أذهانهم السكوت أمام كل الانحرافات أضحى يعني الصبر على تحمّل كل مشاكل وأعباء معركة الهدم والبناء. ومفهوم التوكّل الذي كان يعني التواكل والتقاعس عن النهوض بالأعباء، أضحى يعني الاتصال بالقدرة الإلهية في تحمّل الأعباء الرّسالية الجسيمة.. وهكذا سائر المفاهيم.

تُرى، لو توفرت الأجواء اللازمة لدخول الملايين المحافظة المعزولة المتوقعة من أبناء عالمنا الإسلامي معركتها المصيرية، ما الذي سيحدث في العالم!!

انكسار إطار عزلة المرأة

الانحرافات التي عصفت بالأمة الإسلامية في تاريخها القديم والمعاصر، أقصت الأمة بدرجة وأخرى عن ممارسة دورها الرائد الفعال على الساحة العالمية، وعلى صعيد بناء الأمة الوسط الشاهدة على سائر الأمم.

وكان حظّ المرأة المسلمة من هذا الإقصاء والإبعاد أكثر بكثير من الرجل، فحُرمت التعليم والتثقيف، وحُرمت حق المشاركة فيما أراد الله لها أن تشارك، بل وحُرمت حتى من مسؤولية تربية الأبناء، لأن التربية تحتاج إلى إعداد وتأهيل وتعليم وتثقيف، ولم تكن المرأة المسلمة تملك تلك المقومات غالبًا. فأضحت مسؤولية المرأة تقتصر على إشباع بطن الرجل وشهوته.

وفي عصرنا الحديث ازدادت مأساة المرأة المسلمة حين تصدّت لتحريرها فئة موتورة من تراث هذه الأمة وعقيدتها، ودعت إلى جرّ المرأة إلى التبرج والتخلع والى صالات الرقص وبلاجات السباحة المختلطة.. فخرجت المرأة من بيتها لتقع في شراك مظاهر الحضارة الغربية، ولتفقد حتى دورها في تكوين الأسرة.

وفي إيران تصدّى لعملية التحرير هذه، رضا شاه العميل، ففرض السفور الاجباري، وزجّ بقطاع من نسوة هذا البلد المسلم في التحلّل والتفسخ وفي زنزانة التقليد الأعمى لمظاهر حضارة الغرب.. ولم تنل المرأة المسلمة من كل هذه الضجة المفتعلة باسم تحريرها سوى المزيد من القيود والأغلال والاستثمار الجسدي.. والمزيد من البعد عن المساهمة في بناء الأبناء الصالحين والمجتمع الصالح.

وتصاعدت في العالم الإسلامي أصوات مخلصة تطالب بتحرير المرأة على أساس الإسلام، لكن هذه الأصوات لم يكن لها التأثير المطلوب لأنها لم تستطع توفير الجو اللازم لتحرك المرأة على خطّ الإسلام، اللهمّ إلا في جوّ الحركات الإسلامية المحدودة.

وجاءت الثورة الإسلامية في إيران لتعيد للمرأة دورها الطليعي الذي نهضت به خديجة وفاطمة وزينب في فجر الإسلام الأول، ولتثبت أنها قادرة على تجاوز كل السلبيات حين تتاح لها فرصة التحرك على الخط الإسلامي.

مساهمة المرأة في تفجير الثورة الإسلامية لم تعد خافية على أحد، ومشاركتها في المظاهرات المليونية التي زعزعت حكم الشاه شاهدها العالم على شاشات التلفزيون، ولم يبالغ أولئك الذين قالوا: إن مشاركة المرأة في الثورة الإسلامية فاقت مشاركة الرجل، فعدد النساء لم يكن يقل عن الرجال في المسيرات، والنساء كنّ أحد المحفزات على خروج الرجال المترددين والخائفين إلى ساحة الثورة.

النساء المسلمات اللاتي أراد لهن المنحرفون والطواغيت أن ينعزلن عن كل حركة اجتماعية جادة بنّاءة، كسرن في إطار الثورة الإسلامية كل الحواجز والسدود، وخرجنَ بالملايين متلفّعات بحجابهنّ الإسلامي وحاملات أطفالهن على صدورهنّ، معلنات ساعة العودة إلى إسلام رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم -.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية شاركت المرأة المسلمة بشكل جاد في بناء المجتمع الإسلامي على الصعيد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعائلي.

فإضافة إلى اتجاه اهتمام المرأة المسلمة في الجمهورية الإسلامية

إلى بناء أسرة إسلامية سليمة، تتجه اهتمامات المرأة في هذا الأقليم اليوم إلى التعليم والتعلّم في المدارس والمساجد والمخيمات وقاعات الدرس الشعبية العامة، كما تتجه اهتماماتها نحو تعلّم مختلف الفنون والعلوم لتساهم في الوصول بالمجتمع اقتصاديًا إلى حد الاكتفاء الذاتي، هذا إضافة إلى التدريب على السلاح وفنون المقاومة ومواجهة العدو. والمرأة تشكل اليوم نسبة عالية من جيش العشرين مليون، وتساهم عمليًا بشكل فعّال في الدفاع عن إسلامها أمام لمعتدين، ذلك لأن الدفاع لا يقتصر على الرجل بل يجب على كل فرد في المجتمع الإسلامي. غير أنّ نشاطات المرأة في الحقل الدفاعي تتركز اليوم على دعم الجبهة والعمل في الصفوف الخلفية للمقاتلين، مثل الطبابة والتمريض وإعداد المؤونة، وسد الاحتياجات المختلفة للجبهة.

ولا يفوتني أن أذكر أن المرأة المسلمة في إيران باتت تسطّر ملاحم في الصمود والتضحية، وبدأت تعلم الأبطال من الرجال دروسًا في التجلّد والمقاومة، وهذا ما قاله الإمام الخميني مرارًا.

بدأت تقف على جسد ولدها الشهيد بهدوء عجيب وهي تقول: اللهم تقبل منا هذا القربان!! بدأت تنزع حليها والاقراطَ من أذنيها وتتبرّع بها لمعركة الهدم والبناء... ومثل هذه الصور كثيرة لا يمكن أن يستوعبها هذا الاستعراض العاجل.

عودة الأمة في إيران

إلى دائرة الحضارة الإسلامية

• تبقى الفطرة تشكل أهمّ عامل في العودة إلى الله • استياء الأمة في إيران من المستعمرين بلغ ذروته بعد الهيمنة الأمريكية • الازدواجية في الحياة الاجتماعية أهم عوامل تخلّف العالم الإسلامي • القيادة الإسلامية على صلة وثيقة بالجماهير • المساجد أضحت مراكز لانطلاق الثورة الإسلامية • امتازت شعارات الثورة بالأصالة ورفض التبعية للشرق أو للغرب.

دوافع العودة

«الفطرة الإنسانية» تشكل دومًا العامل الأوّل في كلّ دخول للإسلام أو العودة إليه، وهذا العامل هو الذي دفَعَ بأبناء فارس لأن يفتحوا ذراعهم أمام الفتح الإسلامي الأوّل، وينصروا الفاتحين المسلمين، تخلصًا من ظلم الطاغوت الكسروي. وبقيت الأمة في إيران خلال القرون المتوالية التي تلت الفتح تعيش الإسلام فكرًا وروحًا وعبادةً وسلوكًا على الرغم من انحراف كثير من حكّامها.

بعد سقوط العالم الإسلامي بيد الاستعمار الأوربي، سقطت إيران أيضا بشكل غير مباشر أولاً، ثم مباشر بعد ذلك، وتركّزت الخطة في إيران على إبعاد الأمة عن الثقافة الإسلامية بشتى الطرق:

ـ عن طريق استيراد قشور الثقافة الغربية وتمييع الأمة في المظاهر الحضارية المستوردة.

ـ وعن طريق إحياء ما يسمى بالثقافة الفارسية القديمة، بحجّة أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة الغزاة الذين حطّموا الأمجاد الفارسيّة!!

ـ وعن طريق فصل الأمة عن علماء الدين، وإلقاء التهم على هؤلاء العلماء وإضفاء نظرة تشاؤمية عليهم.

وغيرها من الطرق التي حاولوا فيها إبعاد الإسلام عن الساحة، أو إبقاء إسلام مشوّه ممسوخ مشلول على الأقل، كي يخلو لهم الجو، ويعبثوا كيف شاؤوا.

وتصاعدت خطة المستعمرين من أجل إبادة الإسلام أو مسخه في إيران خاصة خلال نصف القرن الأخير، بعد أن خططوا لجعل هذا البلد قاعدة لتآمرهم في المنطقة.

لكن الله شاء أن يأتي بنيان قوى الاستكبار العالمي من قاعدتهم في إيران، حيث أَثبتت الأمة أنها ـ بفضل روحها الإسلامية ـ أقوى من كلّ مخططات الطغاة والمستعمرين، فحوّلت إيران، إلى قاعدة للوقوف بوجه العبث الاستعماري في المنطقة:

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾.

الدافع الأول في هذا التحوّل ـ كما ذكرت ـ هو (الفطرة الإنسانية) التي تبقى تشكل أرضية عودة الإنسان إلى الخط الإلهي على الرغم من كل محاولات أعداء البشرية.

غير أن هناك دوافع أخرى ترتبط بواقع الأمة في حياتها المعاشة اليوم، وأهم هذه الدواقع:

١ – ارتباط التجربة الإسلامية بتاريخ الأمة:

انصهرت الأمة في إيران بعد الفتح الإسلامي بالإسلام، وانطبعت ثقافتها وعاداتها وفنونها وطريقة حياتها بالطابع الإسلامي، وأضحى الإسلام يشكل أساس مزيجها الحضاري وإطارها التاريخي.

وهذا الامتزاج التام بالإسلام شكل دومًا عقبة أمام الذين خططوا لإبعاد الأمة عن دينها، وكما ذكرت، طَرح المستعمرون قضية (القومية) و(إحياء الأمجاد الفارسية) لإثارة العصبيات الجاهلية بوجه الإسلام.. لكنّ الأمة بقيت مرتبطة بتاريخها الإسلامي، وبقيت تعيش أبعاد التجربة الإسلامية التي شهدتها أو سمعت عنها في تاريخ الإسلام المجيد.

وما أجمل ما يعبر عنه معلم الثورة الإسلامية، الشهيد مطهّري في هذا المجال، حيث يقول:

«تحليل ما هية الثورة الإسلامية لا ينفصل عن قيادة الثورة. لماذا أضحى الإمام الخميني قائدًا بحيث اضطرت الأقطاب المعارضة أن تنضوي تحت لوائه؟ لماذا هذا التأثير الكبير الذي أحدثته نداءات الإمام الخميني وبياناته؟ لِمَ كانت بيانات الإمام، تنتشر كانتشار النار في الهشيم على الرغم من الأخطار التي كانت تواجه كلّ من يسعى في نشر هذه البيانات؟.

نعم لا شكّ أن شخصية الإمام، وما يتمتع به من صدق وصراحة وصرامة وعدم مداهنة، كان له الأثر الكبير في تسنمه زمام قيادة الأمة، لكن المسألة الأساسية في هذا القائد كانت شيئًا آخر.

إنها أصالة النداء الذي أطلقه الإمام الخميني. فنداء هذا القائد انطلق من قلب ثقافة هذه الأمة ومن أعماق روحها، ومن مزيجها الحضاري.

لقد عاش شعبنا خلال أربعة عشر قرنًا ملاحمَ «محمد» و«علي» و«فاطمة» و«الحسن» و«الحسين» و«زينب» و«سلمان» و«أبي ذر»... وأمثالهم، وهذه الملاحم امتزجت مع روحه وعقله، وها هو اليوم يسمع أنغام تلك الملاحم التي ألفها من قبل، تخرج مرة أخرى من حنجرة هذا الرجل.

رأت الجماهير عليًا وحسينًا مجسّدين في شخص الإمام، كما وجدت فيه المرآة التي تعكس بشكل كامل ثقافتها المهانة المحقّرة..

هـذه الأمـة عاشـت طـويلاً أمـل الانخـراط في زمـرة أصـحاب الحسين، وردّدت صباح مساء عبارة خاطبت فيها شهداء كربلاء قائلة: ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزًا عظيمًا.. هذه الأمة وجدت نفسها فجأة على مسرح كربلاء وتبوك وبدر وأحد وخيبر، وجدت نفسها أمام الحسين وجهًا لوجه.

وهذا هو الذي هزّ الملايين من الأعماق ودفع بها إلى أن تسبغ الوضوء من ينبوع الحبّ الإلهي وتخرج مكبرة مهلّلة لتحطم عروش الظالمين».

٢ -نظافة التجربة الإسلامية وعدم ارتباطها بعالم المستعمرين:

انبهر العالم الإسلامي بشكل عام بمظاهر الحياة الأوربية بعد سقوطه بيد الاستعمار الجديد، لكنّ هذا الانبهار سرعان ما تحوّل إلى يأس من كل الشعارات البرّاقة التي لوّح بها المستعمرون وانكشف الوجه الحقيقي للبشير الغربي الذي طالما نادى بالحرية والديمقراطية والمدنية.

لم تمض مدّة طويلة على سقوط العالم الإسلامي بيد الغرب الكافر حتى تبيّن للمسلمين أنهم منوا بأبشع ألوان الاستضعاف الفكري والسياسي والاقتصادي، واتضحت لهم هوية المستعمر الغاشم الطامع.

بعض بلدان العالم الإسلامي، انتفضت من رقدتها، ونهضت

بوجه الاستعمار الغربي الذي سامها سوء العذاب، لكنها وقعت ـ مع الأسف ـ في أحبولة استعمارية أخرى، تحمل اسم الاشتراكية واليسارية والشيوعيّة، ولم تستطع أن تعود إلى واقعها وأصالتها.

الأمة في إيران جرّبت في تاريخها المعاصر ـ لحسن الحظّ ـ أحابيل المستعمرين الشرقيين والغربيين، فبعد الحرب العالمية احتل الروس شمال إيران، والبريطانيون جنوبه، وعانت الأمة وما عانت من كلا الاحتلالين، ثم مرّت عليها تجارب خيانة الشيوعيين الواضحة لحركات التحرر الإسلامية والوطنية لصالح ما كان يسمى الدولة الشيوعيّة الأم، كما شهدت بأمّ عينيها مساندة العالم الشيوعي بجناحيه السوفيتي والصيني للشاه ولمشاريعه (الإصلاحية)! (التقدميّة)! من أجل الحصول على الغاز الإيراني، وفتح أبواب السوق الإيراني أمام بضائعهم الكاسدة.

استياء الأمة في إيران من عالم المستعمرين بلغ ذروته بعد دخول أمريكا المباشر في إيران، على أثر سقوط حكومة الدكتور مصدق. فقد أضحت كل مقدرات الأمة بيد الاستكبار الأمريكي وأشاع هؤلاء المستكبرون بالتعاون مع عميلهم الشاه المقبور أحط أنواع الفساد والرذيلة، ودأبوا بجد على محاربة الروح الإسلامية وعلى ربط اقتصاد البلد وسياسته وجيشه بالسياسة الأمريكية.

وأمام هذه التجربة المرة التي ذاقتها الأمة في إيران من عالم المستعمرين، بقيت التجربة الإسلامية نظيفة ناصعة طافحة بالقيم

الرافضة للذوبان والتميّع في الثقافة الاستعمارية، والخضوع للمستعمرين.

ومن هنا ارتفعت نداءات الأمة إبّان الثورة بالهتاف: لا شرقيّة ـ لا غربيّة ـ جمهورية إسلاميّة، لتعلن ولاءها للمدرسة البعيدة عن كل انتماء وتبعيّة للشرق أو الغرب.

٣ -التخلّص من الازدواجية في الحياة المعاشة:

الازدواجية ظاهرة تسود جميع بلدان العالم الإسلامي الخاضعة لنفوذ الاستعمار المباشر وغير المباشر.

ففي هذه البلدان غالبًا:

عَلَم ودستور ومجلس أمّة كلّ عن المعنى الصحيح مُحرّف

أطفال هذه البلدان يردّدون في مدارسهم أناشيد الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية، لكنّها مجرّد ألفاظ، إذ لا تجد سوى (التبعيّة) السياسية والاقتصادية والفكريّة.. والمآذن في هذه البلدان تنادي لا إله الا الله، بينما تجد الآلهة المتعدّدة في هذه المجتمعات تحكم بغير ما أنزل الله، وتتحكم في مقدّرات أبناء الأمة كما تجد أبناءها يقيمون علاقاتهم الشخصية على أساس الإسلام وعلاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية غالبًا على أساس غير إسلامي.

وظاهرة الازدواجية هذه من أهم عوامل تخلف الأمة الإسلامية في الحقول البنّاءة، وخاصة في الحقل الاقتصادي. ذلك لأن معظم

أبناء الأمة يعيشون أنظمة اجتماعية مستوردة من الخارج لا تمت إلى الإسلام بصلة. والإنسان المسلم لا يستطيع أن يتفاعل مع هذه الأنظمة، و لا تستطيع هذه الأنظمة أن تفجّر طاقات الإنسان المسلم، وتدفعه نحو حركة البناء، لأنها لا تنسجم مع المزيج الحضاري والثقافي لإنسان العالم الإسلامي.

أبناء الأمة في إيران كانوا يعيشون هذه الازدواجية بشكل فظيع. فقد كانوا يحسّون بانفصال بين عواطفهم الإسلامية وأفكارهم الإسلامية، وبين النظام الاقتصادي والسياسي والاتجاه الثقافي والتربوي في بلادهم.

الاتجاه الإسلامي لأبناء الأمة في إيران أثبت أنه أقوى من كل العوامل المضادّة التي أوجدها المستعمرون وأذنابهم، حين دفع بأبناء الأمة للقضاء على تلك العوامل، من أجل إقامة المجتمع المنسجم القائم على مجاليه الفردي والاجتماعي على أساس الإسلام.

مظاهرة العودة

قبل انتصار الثورة الإسلامية:

اتّسم التحرك الثوري في إيران منذ انطلاقته الأولى بمظاهر أثبتت للجميع أن هذا التحرّك إسلامي محض، وحتّى الذين كانوا يحاولون إضفاء الطابع اليساري والشيوعي على الثورة في محاولة لعزلها عن عواطف الأمة الإسلامية، تراجعوا بسرعة بعدما أضحى

الطابع الإسلامي للثورة حقيقة لا تقبل الشكّ والترديد.

ومن هذه المظاهر:

١ -استجابة الجماهير لقيادتها الدينيّة: هذه القيادة التي تجسّدت في شخصية الإمام الخميني كانت على صلة وثيقة بالجماهير عن طريق البيانات المطبوعة والمسجلة على الأشرطة، وعن طريق التوجيهات التي كان يرسلها إلى ممثلي المرجع في إيران. وهذه الاستجابة بلغت درجة مدهشة جسّدت إلى حد كبير طاعة الأمة لأولياء أمورها الحقيقيين.

الإمام الراحل طلب من الجماهير أن تخرج إلى الشوارع مطالبة بسقوط الحكم الشاهنشاهي وإقامة الجمهورية الإسلامية، فخرجت متحدية سياسة الإرهاب والتخويف التي مارسها حكم الشاه بصورة واسعة دقيقة. ولم تثنها المجازر الوحشية التي ارتكبها جلاوزة الشاه بحقّ المتظاهرين.

والإمام طلب من أبناء الأمة مواجهة رصاص العدوان بصدور عارية، فاستجابت الأمة، ولم تحمل أيّ سلاح على رغم من أنها قدّمت ستين ألف شهيد خلال عام واحد، بل وأكثر من ذلك نثرت على القوات المسلحة الزهور والرياحين استجابة لطلب الإمام، وهذه الطريقة الحكيمة في المعاملة هي التي زلزلت ولاء القوات المسلحة للشاه وجذبتها بالتدريج إلى صف الجماهير الثائرة.

والإمام طلب من أبناء الأمة عدم قبول الحلول الوسط، ومواصلة الثورة حتى إقامة الحكم الإسلامي، فاستجابت الأمة،

ولم تقبل تنازلات الشاه، ولا تشكيل مجلس السلطنة، ولا حكومة (بختيار) المتظاهرة بالوطنية، وبقي الإمام يواصل توجيهاته الحكيمة، والأمة تلتزم بها بدقة وعزم، حتى قاد المسيرة بإذن الله نحو نصرها المبين.

وجدير بالذكر أن الفئات غير الإسلاميّة، حاولت أن تطرح في الساحة شعارات خاصّة كي تثبت وجودها، ولكنّها انجرفت كالقشة أمام السيل الإنساني الجارف الذي أبى أن يصغي لصوت سوى صوت قيادته الدينية الرائدة متمثلة في العلوي الثائر الإمام الخميني.

سقوط كل القيادات أمام القيادة الإسلامية، مؤشر هام يوضّح طبيعة التحرك الثوري في إيران.

٢ -ثورة المساجد: هذا هو الاسم الذي أطلقه كثير من المراقبين والمراسلين على الثورة الإسلامية في إيران. ففي فترة اندلاع الثورة الإسلامية، أضحت المساجد منطلق الثورة، ومركز إدارة العمليات الثورية.

باتت المساجد تنهض ـ إضافة إلى دورها العبادي ـ بدور التوعية السياسية، والتعبئة الجماهيرية، وإيصال نداءات القائد إلى الجماهير، وبدور وسائل إعلام الثورة، والإشراف على توزيع الوقود والمواد الغذائية ومساعدة عوائل الشهداء والمضربين عن العمل.

وكان المسؤول عن تنظيم هذه الأمور في كلّ مسجد مجموعة

من المواطنين على رأسهم إمام المسجد.

ولو عرفنا أن أئمة المساجد يرتبطون جميعًا بالمرجع القائد لفهمنا سرّ ذلك التنسيق ووحدة الشعار والهدف والطريقة في الثورة الإسلامية بجميع أنحاء إيران.

ومن الواضح إن اتخاذ المساجد مراكز لانطلاق الثورة يشير إلى الطبيعة الإسلامية للثورة، والى العودة بالمسجد إلى دوره الرائد الفعّال البناء في الحياة الإسلامية.

٣ -شعارات الثورة: خروج المسيرات المليونية في طهران العاصمة وسائر المدن الإيرانية ظاهرة بارزة في الثورة الإسلامية، وهذه المسيرات الجماهيرية الضخمة كانت طافحة بالمظاهر الإسلامية، فلا ترى بين ملايين النساء المتظاهرات امرأة غير محجّبة، حتى المراسلات والمصورات الأجنبيات اللاتي كنّ يغطين أنباء تلك المسيرات تحجّبن بالحجاب الإسلامي، ولم يكن أحد يفرض عليهنّ ذلك سوى الجوّ الإسلامي العام في الشارع الإسلامي الثائر.

كانت الملايين الهادرة في الشوارع تلتزم بالآداب والواجبات الإسلامية بشكل دقيق، فما إن يحين وقت الصلاة حتى تصطف في الشوارع، وتقيم صلاة الجماعة. كما كانت تبتعد عن كلّ أعمال انفعالية غير متعقلة ومدروسة.

النظام الطاغوتي البائد حاول مرارًا أن يجرّ المتظاهرين إلى مثل هذه الأعمال، لكنه فشل بفضل الوعي العام والالتزام التام

بتعاليم علماء الدين وتوجيهاتهم.

الشعارات في هذه المسيرات وفي كلّ التظاهرات الصغيرة والكبيرة كانت تدور حول محور واحد، وتلتزم بهدف واحد، هو إسقاط النظام الطاغوتي وإقامة الحكم الإسلامي، واعلان الولاء لخط القيادة الإسلامية المتمثلة في الإمام الخميني.

امتازات هذه الشعارات أيضا بأصالتها، ورفضها لكل تبعية لشرق أو غرب، فمنها الشعار المعروف: لا شرقية ـ لا غربية ـ جمهورية إسلامية.

كانت المآذن قبل اندلاع الثورة الإسلامية تنادي صباح مساء في أذانها: الله أكبر، لا إله إلا الله، ولم يكن هذا الشعار يحرك ساكنًا أو يقلق طاغوتًا. أما حين تحركت الأمة في إيران على طريق الإسلام، عاد هذا الشعار يتخذ طابعه الحقيقي في صدر الإسلام، أضحى يعني ولاء الأمة للإله الواحد الأحد وتمرّدها على الآلهة المزيفة في المجتمع. بات شعار التهليل والتكبير يخرج من القلوب والأعماق ويرعب الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله، ويهزّ عروش طاغوت إيران وطواغيت الأرض. شعار (الله أكبر) كان يدّوي نهارًا في الشوارع، وليلاً في سطوح المنازل، مضيفًا على الجوّ العام طابعًا إسلاميًا ثائرًا، ومؤكدًا طبيعة المسيرة وأهدافها.

شعارات الثورة الإسلامية أوضحت أيضًا ارتباط الأمة بتاريخ الإسلام الثوري، ومن ذلك شعار (كل أرض كربلاء ـ كلّ يوم عاشوراء)، وشعار: (ثورتنا حسينيّة ـ قائدنا الخميني).

كما أكدت تبني الأمة في إيران لقضايا المسلمين عامّة كشعارات مساندة الشعب الفلسطيني وشعارات العودة إلى فلسطين وتحرير القدس، وشعارات إدانة المؤامرات العالمية على مصالح المسلمين.

هذه الشعارات بأجمعها أثبتت للعالم أنّ التحوّل في إيران إسلامي يتطلع إلى عودة الفجر الإسلامي وعودة (الأمة الوسط) من جديد على ظهر الأرض.

بعد انتصار الثورة الإسلامية

قطعت الأمة ـ بعون الله وقوته وتأييده ـ خطوات واسعة على طريق بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، وتثبيت دعائم حاكمية الله في الأرض.

فعلى صعيد النظام:

أرست قواعد الحكم الإسلامي عن طريق المصادقة على دستور الجمهورية الإسلامية المستلهم من الكتاب والسنّة الشريفة. وتمّ انتخاب أعضاء مجلس الشورى الإسلامي للمصادقة على القوانين في الحقول المختلفة ضمن إطار الدستور، وانطلاقًا من مصادر الشريعة الإسلامية وكل هذا تمّ ضمن فترة قصيرة عصيبة للغاية مرّت بها الأمة في إيران، وهي تتعرض لأبشع المؤامرات الدولية من الداخل والخارج.

وعلى الصعيد الاجتماعي:

تواصل المسيرة الإسلامية عملية تطهير المجتمع من ألوان الفساد والرذيلة، والقضاء على جميع مصادر التفسخ الخلقي، وإيجاد المؤسسات الاجتماعية وفق معايير إسلامية لتعبئة طاقات الأمة من أجل بناء المجتمع الإسلامي.

وعلى الصعيد الاقتصادي:

اتّخذت كل الإجراءات اللازمة لإزالة استثمار الأفراد، واستغلالهم اقتصاديًا. كما افتتحت المؤسسات الاقتصادية الإسلامية للإسهام في بناء اقتصاد المجتمع ضمن إطار الاقتصاد الإسلامي، واستُرد كثير من الأموال التي نهبها جلاوزة الطاغوت وعملاء البلاط من أبناء الأمة.

وقُسّمت الأراضي المستردّة على المواطنين للإعمار والزراعة، وألغي النظام الربوي من البنوك تقريبًا، ويجري العمل على تأسيس بنوك ومصارف إسلامية بعيدة عن التعامل الربوي، كما قُضي على جميع المرابين في المجتمع.

اتخذت كل الإجراءات اللازمة لصيانة الثروات التي أودعها الله تعالى في الأرض كي يكون فيها للأمة بأس شديد ومنافع للناس. وقلّمت أظافر الغزاة الطامعين الذين نهبوا هذه الثروات سنين متطاولة فتمّ التعامل مع عائدات النفط بحيث تستطيع عائداته أن تسدّ احتياجات البلاد، لا أن تتدفق هذه العائدات على البنوك الأجنبية!

كما نشطت الجمهورية الإسلامية في استيفاء حق الأمة من

ثرواتها النفطية عن طريق رفع الأسعار إلى أعلى مستوى ممكن.

ومن المظاهر البارزة لعودة الأمة إلى الإسلام ـ في المجال الاقتصادي ـ الابتعاد عن الإسراف والتبذير والترف والبذخ. فالإمام الراحل كان يعيش في بيت متواضع بسيط كما يعيش أولئك الذين سحقهم نظام الطاغوت وتلاه الإمام القائد الخامنئي وهو مضرب الأمثال في الزهد والابتعاد عن فضول العيش.

وفي حقل السياسة الخارجية:

انتهجت الجمهورية الإسلامية سياسة صارمة تجاه تدخّل القوى الكبرى وطبّقت بشكل عملي جاد سياسة: لا شرقية ولا غربيّة، وأعلنت مساندتها لجميع حركات التحرر وجميع المستضعفين في العالم.

وعلى الصعيد التربوي:

تحولت جميع المساجد والمراكز الاجتماعية والدينيّة إلى مؤسسات تربوية تستهدف بث المفاهيم الإسلامية، ونشر التوعية الإسلامية بين الجماهير.

صلاة الجمعة أضحت تنهض بقسط وافر من عملية البناء التربوي، وهكذا مجالس الدعاء والذكر، وتغيرت مناهج التدريس في المدارس لتواكب عملية التغيير الفكري والاجتماعي في الجمهورية الإسلامية، كما تحوّلت وسائل الإعلام إلى مدرسة تربوية لإعداد الإنسان المسلم المرتفع إلى مستوى مسؤوليات عملية بناء المجتمع الإسلامي.

وعلى الصعيد القضائي:

قطعت الثورة الإسلامية خطوات رحبة على طريق تطبيق النظام القضائي الإسلامي. فمنذ الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية شكلت محاكم الثورة الإسلامية تحت إشراف الفقهاء الواعين على مبادئ القضاء الإسلامي، ونهضت بأعباء تنفيذ القوانين الإسلامية بحق القتلة والمجرمين وتجار المخدرات والمرابين والمتآمرين.

ثم جرى العمل على تطهير وزارة العدل، وإقرار قوانين القضاء الإسلامي فيها، وتعيين القضاة المسلمين الملتزمين، وأقرّ الدستور تشكيل مجلس قضاء أعلى يرأسه فقيه مجتهد عادل، يعينه ولي أمر المسلمين، وهكذا الأمر بالنسبة للإدعاء العام.

وفي الحقل العسكري:

اتجهت الثورة الإسلامية نحو إزالة تبعية الجيش على الصعيد الفني والثقافي لعالم المستعمرين. فطردت آلاف الخبراء العسكريين الأجانب الذين كانوا متغلغلين في جميع أوساط القوات المسلحة الإيرانية للتجسس ولتعميق التبعيّة. وأقصت الرؤوس العسكرية الخائنة التي كانت مسؤولة عن دفع الجيش نحو خدمة المصالح الاستعمارية ومقاومة تحرّك الشعب.

وجرت عمليات واسعة لتربية الجيش على المفاهيم الإسلامية وخلق روح الاستشهاد في سبيل الله، وروح الدفاع عن حياض الإسلام، في نفوس أبناء القوات المسلحة.

كما أبعد جيش الجمهورية الإسلامية عن ممارسة دور الدركي في المنطقة ودور ضرب الحركات التحررية، كما كان عليه في العهد الشاهنشاهي البائد.

وبذلت جهود واسعة لإزالة الثقافة الشاهنشاهية الاستعمارية في أوساط الجيش والقضاء على التصورات القومية الضيقة التي فرضها عليه نظام الطاغوت، ولتبديلها بثقافة إسلامية متفتحة متطلعة إلى تحرير الأراضي الإسلامية المغتصبة ونصرة المظلومين المستضعفين في كل مكان.

وأهم من هذا كلّه أنيطت مهمة القيادة العليا للجيش ـ وفق الدستور الإسلامي ـ إلى وليّ أمر المسلمين، الفقيه العادل التقي الكفوء القائد.

وبذلك أصبحت كل تحركات الجيش تجري ضمن معايير إسلامية وتحت قيادة إسلامية.

هذا التحوّل من الجاهلية إلى الإسلام، وفّر الأرضية اللازمة لعودة التجربة الإسلامية من جديد في إيران. فبرزت قدرة الإسلام الإعجازية في المجالات المختلفة.

ولا يخفى على كل مسلم ان هذه التجربة الإسلامية في إيران ليست ملكًا لشعب ولا لقوم بل هي ملك للمسلمين جميعًا، لا في عصرنا هذا حسب، بل في جميع العصور، لأنها وثيقة تثبت بما لا يقبل الشك قدرة الإسلام على إنقاذ العالم عامة والأمة الإسلامية خاصة من الظلم والفساد والانحراف والوصول بسفينة البشرية التائهة في محيط الجاهلية المظلم المتلاطم إلى ساحل النجاة.

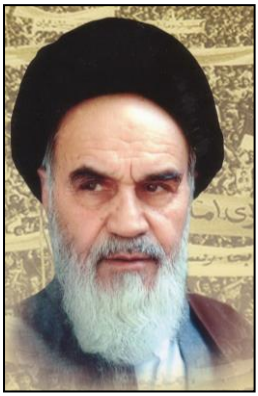

موقف الإمام الخميني (رض) من حالة الذلّ في المجتمع

• أكد الإمام باستمرار أن كلّ ما تحقق إنما كان بفضل الله • أعاد الإمام الحياة إلى العبادات • غرس الإمام روح العزّة في المرأة لتغرسها في أسرتها • سعى الإمام لربط الأمة بتاريخها الثوري القديم والمعاصر • خطاب الإمام بشأن الحضارة الغربية يتجه نحو الاستهانة بها • تغلّب الإمام على كل عوامل الهزيمة والضعف والخور.

سلك الإمام الخميني(رض) ثلاثة أساليب لمواجهة حالة الذلّ في مجتمعه.

الأول: خلق روح العزّة في المجتمع، وذلك عبر المحاور التالية:

١ – التأكيد على قدرة الله سبحانه وتعالى، وأن كلّ شيء بيده، وأنه القادر على ما يريد، وأنه سبحانه ينصر حتمًا من ينصره، وأن كلّ انتصار إنما هو بفضله ومنّه. هذه التأكيدات موجودة في القرآن الكريم أيضًا، لكن الإمام كان يركّز عليها تركيزًا مقرونًا بما يحدث في ساحة المواجهة والصراع والصمود

والهدم والبناء، فيغرس هذه المفاهيم في النفوس، ليشعر الأفراد بعزّة وكرامة ورفعة وهم يتعاملون مع الله سبحانه في تحركهم الاجتماعي.

٢ -التركيز على قدرة الإسلام في دحر الطواغيت، وبناء الدولة العصرية، وإنقاذ البشرية من مستنقعها، وعلى أنه البديل الوحيد لما تعاني منه البشرية من ضياع وتيه وتخبّط في المادية. فلقد كان (قدس سره) ينصح المفكّرين والزعماء في العالم الإسلامي وغير الإسلامي بالعودة إلى الإسلام ليجدوا فيه عزتهم وسعادتهم وسؤددهم، وبذلك يغرس في نفوس كلّ المسلمين روح الاعتزاز بعقيدتهم والشعور بالكرامة في ظل دينهم.

٣ -الحديث المستمر عن إيمان حقيقي، حول قدرة الشعب في خلق المعجزات، لأن الأمّة المتحركة على طريق الله تتجلّى في حركتها قدرة الله وعظمته وانتقامه من الجبارين، فهو قادر على أن يواجه أعتى الطواغيت وإن افتقد العدة والعتاد، وقادر على أن يواجه كلّ جبهات الكفر على سعتها، وقادر على أن يبني ويعمر رغم كلّ الضغوط والمحاصرات.

٤ -منحه الشعب ثقة تامة، ولقد كانت الثقة المتبادلة بين الإمام الراحل وأمّته، من أهمّ بواعث شعور الشعب الإيراني بالاعتزاز والكرامة في حركته بقيادة الإمام؛ فهو قدس الله روحه يرى في الشعب وفاء وصدقًا وإخلاصًا لم يبلغه صحابة رسول الله(ص) ولا صحابة علي(ع)، ويكبر هذا الشعب ويتواضع أمامه

وأمام تضحياته وصموده تواضعًا غريبًا.

٥ -تأكيده المستمر على الدور الذي يجب أن يضطلع به الشعب الإيراني على الساحة العالمية، بحمله مشعل الإسلام إلى الضالّين، ودفاعه عن المستضعفين، وإعطاء القدوة والمثل الأعلى للآخرين، وهذا الدور الذي يريده الإمام للأمّة في إيران يجعلها تستشعر دورها الرائد على ظهر الأرض.

٦ -تخطيط الإمام لإعادة الحياة والروح إلى العبادات الإسلامية، فقد رسم للحج ولصلاة الجمعة وللمساجد تصويرًا جديدًا يعيد إليها الحياة لتكون كما كانت في عصر الرسالة الأول، مبعث عز للمسلمين، ومظهر قوّة وصمود وتكاتف لهم أمام الأعداء المتربّصين.

٧ -حديث الإمام المستمر عن منجزات الثورة الإسلامية في الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية، وتذكير الناس بما كانت عليه الأوضاع قبل الثورة لتعميق روح الاعتزاز بالثورة الإسلامية وبالإنجاز العظيم الذي حدث على يد الشعب.

٨ -غرس مفهوم الشهادة في النفوس، وخلق روح طلب الشهادة في الأفراد، بتبيين منزلة الشهيد وعظمة الجهاد في سبيل الله، وما يستتبع تصاعد روح الجهاد من عزة وكرامة للمجتمع.

٩ -تركيز الإمام الراحل على دور المرأة في المجتمع ودورها في الثورة، وعظمة المسؤوليات التي تنهض بها في البيت والمجتمع، كلّ ذلك لخلق روح العزّة في نفس المرأة، لتغرسها بدورها في نفوس أبنائها وأفراد أسرتها.

١٠ -تأكيده المستمر على قدرة الإيرانيين والعرب والشرقيين والأمّة المسلمة عامّة على الاختراع والابتكار، ومواكبة ركب المدنية المعاصرة على شرط الإيمان بقدراتهم وكفاءاتهم.

١١ -ربط الأمّة بتاريخها الثوري القديم والمعاصر، وخاصة ربطها بثورة سيد الشهداء الحسين بن علي(ع)، والتركيز على روح العزّة والإباء في هذه الثورة ، ودعوة الأمّة للتفاعل مع كلّ مواقف الإباء والصمود فيها.

١٢ -التأكيد على الطبقة الفقيرة المستضعفة، وعلى ضرورة تجنيد كلّ الطاقات للأخذ بيدها، وأنها أشرف من أصحاب القصور، وأنها هي التي حملت العبء الجسيم في الثورة والدفاع عنها، كلّ ذلك لبعث روح العزّة في هذه الفئة التي طالما استذلّها نظام الطاغوت.

الثاني: اقتلاع روح الهزيمة والذلّ من النفوس بالأساليب التالية:

١ -الاستهانة بالحضارة المادية المعاصرة، وبيان زيفها وخوائها، وتخبطها، وقرب سقوطها، والطريق المسدود الذي وصلت إليه، ونصيحة المهزومين من المسلمين بفتح أعينهم على واقع الحضارة، وعدم الانبهار بظاهرها.

٢ -الاستخفاف بطواغيت الأرض، والسخرية منهم، وتهديدهم، وتحدّيهم، والتعامل معهم وكأنهم نمور من ورق، وأطفال جامحون يستحقّون النصح والتحذير والتأديب.

٣ -حثّ الشعوب على كسر حاجز الخوف الذي اصطنعته

الحكومات الظالمة، والتعامل مع هذه الحكومات كما تعامل الشعب الإيراني مع الطاغوت المسيطر عليه، والتأكيد أن هذا العصر هو عصر الشعوب وتحقيق إرادتها وكسر قيودها.

٤ -تركيز روح العزّة في كلّ اللحظات العصيبة التي يخشى فيها تزلزل النفوس، مثل الهزيمة العسكرية أو الضغوط الاقتصادية أو اغتيال كبار الشخصيات القيادية، واستثمار هذه الحوادث لرفع المعنويات وتصعيد روح المقاومة والصمود.

الثالث: إعطاء القدوة من نفسه

وهذه القدوة قدّمها الإمام في مواقفه التالية:

١ – المواصلة المستمرة دون هوادة في المقاومة والصمود دون أن يتراجع قيد أنملة عن مواقفه المبدئية.، ودون أن يداهن أو يهادن لحظة واحدة، وهذه المواصلة صّعدت روح الثورة في النفوس، واقتلعت روح طلب العافية والاسترخاء وما يستتبعها من ذل.

٢ -تحمّل السجن والتعذيب والإرهاب والنفي بطيب خاطر وبرحابة صدر، متغلبًا بذلك على كلّ سبل الهزيمة النفسية وإذلال الشخصية.

٣ -تحمّل المصائب الشخصية كفقدان الولد بروح مطمئنة صابرة مستسلمة لقضاء الله، ولا يخفى ما لهذا الموقف من تأثير في تثبيت النفوس المتزلزلة والأرواح الضعيفة.

٤ -ضرب المثل الأعلى في الزهد والابتعاد عن مظاهر الحياة وبهارجها وزينتها، بما يرسّخ روح الثقة والترفّع والسمو النفسي في القاعدة التي يقودها.

الشيوعيون أمام النظام الإسلامي

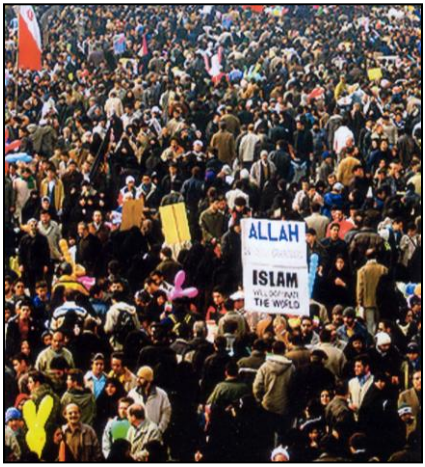

• إنهيار الحزب الشيوعي أمام الثورة الإسلامية ظاهرةٌ فريدة • حزب تودة عاش أزمة فكريةٌ داخل الجمهورية الإسلامية • اعترافات أعضاء حزب توده تؤكد على انهيار الشيوعية في إيران أمام الفكر الإسلامي النظري والعملي • الماركسية شعرت بالإفلاس أمام شعارات الإسلام الثوري • برزت على ساحة الجمهورية الإسلامية بسقوط حزب توده تجربة أُخرى من تجارب قدرة الإسلام.

كثيرة هي الانهيارات منيت بها الأحزاب الشيوعية في العالم، وكثيرة هي الاعترافات التي صَدرت عن كوادر هذه الأحزاب بعد الانهيارات، لكن انهيار حزب توده (الحزب الشيوعي الإيراني) واعترافات أعضائه بعد قيام الدولة الإسلامية لها ميزات قد انفردت بها.

هذا الانهيار لم يأت ـ أولا ـ نتيجة مساومات دولية، أي لم يأت نتيجة اتفاق بين موسكو وواشطن في إطار لعبة الأمم، كما لم يحدث نتيجة وفاق بين الجمهورية الإسلامية والكتلة الغربية، ولا يحتاج ذلك إلى دليل. فكل من يفهم طبيعة الثورة الإسلامية في تعاملها مع الكتلتين الشرقية والغربية، ويعرف المواقف المتبادلة بين الجمهورية الإسلامية والكتلة الغربية يدرك هذا بوضوح.

ومن الطريف أن أذكر هنا أنّ أجهزة إعلام الغرب والشرق كلها اتخذت موقفًا معاديًا وسلبيًا من هذه الاعترافات، وحتى وكالات الأنباء الغربية والصهيونية حاولت أن تستهين بأنباء هذه الاعترافات وزعمت أنها جاءت على أثر التعذيب الجسدي ثم استدركت وقالت بل حدثت على أثر المحاربة النفسية داخل السجن، لأن التعذيب الجسدي ـ والقول لوكالات الأنباء الغربية ـ يزيد عادة من صمود الشيوعيين واصرارهم. وراحت مرة أخرى تفتعل القصص الخيالية لتوحي أنّ انكشاف تنظيم حزب توده وافتضاح مخططاته جاء نتيجة لجوء جاسوس بريطاني يعمل في السفارة الروسية بطهران إلى الغرب.

وهذه هي المرة الأولى التي تتخذ فيها وسائل إعلام الغرب مثل هذا الموقف السلبي من انهيار حزب شيوعي في العالم، إذ كان دأب الإعلام الغربي أن يطبّل ويزمّر لصالح الأنظمة التي تنهار الأحزاب الشيوعية في ظلها. ولكن هذا الإعلام وقف هذه المرة إلى جانب الإعلام الشرقي في موقفه السلبي من الجمهورية الإسلامية

تجاه الظاهرة، ولكن بصيغة مختلفة طبعًا.

والسبب واضح وهو أن انهيار حزب توده ـ كما ذكرنا ـ كان حدثًا، مثل سائر أحداث الدولة الإسلامية المباركة، خارجًا عن إطار الوفاق الدولي بين المستكبرين.

وهذا الانهيار ـ ثانيًا ـ لم يسفر عن اقتراب الجمهورية الإسلامية من الغرب، كما يحدث عادة بعد انهيار الأحزاب الشيوعية في بلدان العالم.

لقد كتبت صحف العالم ومجلاته كثيرًا في بداية انهيار حزب توده عن نتائج هذه الظاهرة، وأجمعت تقريبًا ـ انطلاقا من مرتكزاتها الذهنية ـ على أنّ ذلك سيؤدي إلى اقتراب إيران من الكتلة الغربية. غير أن كل هذه التخمينات تحولت إلى سراب حينما أعلنت الجمهورية الإسلامية بحزم عن استمرار موقفها المبدئي من الغرب عامة، ومن أميركا بشكل خاص وأن أمريكا لا تزال هي الشيطان الأكبر، وأن شعار «الموت لأمريكا» سيبقى منطلقًا من أرض إيران مازال الصراع قائمًا بين الإسلام والاستكبار العالمي.

كان حزب توده يحس بشدة قبل الانهيار التام بأنه يعيش أزمة فكرية داخل الجمهورية الإسلامية، ولكن هذا الحزب بقي محتفظًا بمعنوياته، لأنه كان يشعر بارتباطه بقوة كبرى من جهة، وبعدم ارتباط الجمهورية الإسلامية بأية قوة كبرى، وبأية استخبارات عالمية من جهة أخرى. وهو لذلك كان واثقًا من بقاء

تنظيمه ومخططاته بمعزل عن أضواء النظام الإسلامي، ومن قدرته يومًا على تسلم السلطة وكسر طوق غربته الفكرية.

عمليات إلقاء القبض السريعة المتقنة على أعضاء اللجنة المركزية للحزب أدت إلى «الانهيار النفسي» بين الكوادر المتقدمة وقد أدّى هذا بدوره إلى «الانهيار التنظيمي».

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أن ظاهرة الانهيار الفكري لحزب توده تعتبر الأولى من نوعها في العالم، لأن الارتداد عن الشيوعية كان غالبًا ما يأتي نتيجة وقوع الشيوعيين في إغراءات الحضارة الغربية فيصابون بالتحلل الفكري والاسترخاء المعنوي والبطر النفسي فينسون التزاماتهم ويبدأون بصب اللعنات على القوالب الفكرية الماركسية والثناء: على الحريات الديمقراطية!!

لكن الانهيار الفكري لحزب توده حدث هذه المرة أمام فكر إسلامي ثوري يخاطب فطرة الجماهير، ويتبنّى مشاكلها وآلامها وآمالها، ويدفعها للسير حثيثًا على طريق التكامل المعنوي نحو خالقها، ويعطيها تصورًا حركيًا تكامليًا عن الكون والحياة والإنسان. وأمام هذا الفكر الحركي الجماهيري الفطري تراجع الفكر الشيوعي وأصبحت بضاعته كاسدة، اللهم إلاّ بين عدد من المثقفين المتعالين على الجماهير والمنفصلين عنها. ومثل هذا التبني للشيوعية يتعارض مع الشيوعية نفسها.

كما أن ظاهرة الانهيار النفسي كانت فريدة من نوعها أيضًا، لأن الحزب كان واثقًا من أنه يعيش في حصانة تنظيمية

حديدية، وأن النظام الإسلامي لا يملك جهاز الأمن والاستخبارات القادرين على كشف هذا التنظيم الحديدي. فالجمهورية الإسلامية حديثة العهد، ومشاكلها كثيرة، وخبرتها في كشف التنظيمات ضعيفة. ولذلك أذهلت عملية الاعتقالات الخاطفة الدقيقة كوادر حزب توده وأفقدتهم صوابهم وراحوا يفرغون بسرعة ما في جعبتهم من معلومات.

ثم إن الانهيار التنظيمي كان فريدًا من نوعه أيضًا إذ كشف أعضاء الحزب عن كل ارتباطاتهم دونما تردد أولف أو دوران، وفضحوا بسرعة كل عناصر نفوذهم داخل أجهزة الحكومة والجيش، وأهم من كل ذلك أنهم كشفوا عن ارتباطاتهم بوكالة الاستخبارات السوفيتية السابقة «كي ـ جي. بي» وبيّنوا نوع المعلومات والتقارير التي كانوا يبعثونها إلى الاتحاد السوفيتي السابق وأعلنوا لكل الأعضاء عن انحلال الحزب وانتهاء تنظيم توده في إيران إلى الأبد.

هذه الظواهر الجديدة نستطلعها من خلال إلقاء الضوء على ما نشر في اعترافات حزب توده.

به آذين يعترف

محمود اعتماد زاده «بهآذين» رئيس الجمعية الإيرانية لأنصار السلام. والأمين العام لمجلس الكتّاب والفنانين الإيرانيين وصاحب صحيفة «اتحاد مردم» = اتحاد الشعب الأسبوعية. انتمى إلى الحزب

الشيوعي (توده) عام ١٩٤٢ وكان لدى اعتقاله عضوًا في اللجنة المركزية للحزب، وجدير بالذكر أنّ الجمعية والمجلس المذكورين واجهتان لحزب توده تحركتا بعد اعتقال (بهآذين) لمطالبة النظام الإسلامي بإطلاق سراحه باسم حرية الرأي والقلم!!

خرج على شاشة التلفزيون. وأدلى باعترافات مهمة دارت حول الانهيار الفكري لحزب توده وخياناته، والمهم في هذه الاعترافات هو تأكيد «بهآذين» على انهيار الماركسية في إيران امام الفكر الإسلامي النظري والعملي. فهذا الرجل يحتل مكانة مهمة في الحزب على الصعيد الأدبي والتنظيري، ويعتبر من الأدمغة المفكرة في الفكر الماركسي والأدب اليساري.

إفلاس الماركسية:

قال: قبل كل شيء لا بد من القول: إن الماركسية في إيران وصلت إلى طريق مسدود، بعد انتصار الثورة الإسلامية واستتباب سيادة الإسلام المطلقة وليس للماركسية أي مجال للحياة السياسية في إيران.

وسبب وصول الماركسية إلى طريق مسدود في إيران يعود بالدرجة الأولى إلى وجود الإسلام، الإسلام الثوري الذي جعل الماركسية تشعر بالإفلاس أمام نظرية منسجمة ومتبناة من قبل الجماهير المليونية في إيران.

هذا الإسلام أبرز نفوذه ورسوخه في وجدان الجماهير المليونية

الإيرانية وخاصة المستضعفين بصور مختلفة. إحدى هذه الصور هيمنة الثقافة الإسلامية. و لابد من التأكيد على أن مستضعفي إيران، ،مدنييهم وقروييهم لهم ارتباط وثيق بعلماء الدين المسلمين وهذا الارتباط الثقافي العريق الذي يمتد لقرون متطاولة يحمّل الجماهير نوعًا من المسؤولية التي تبعدهم عن تبني كل فكرة غير إسلامية.

والمسألة الأخرى: هي أنّ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، واستتباب حاكمية الإسلام التامة في إيران، قد تمّا باشتراك الجماهير الشعبية المليونية، وخاصة المستضعفين وبقيادة الإمام الخميني طبعًا. وبفضل توجيهات علماء الدين الملتزمين التي استطاعت أن تدفع حركة الجماهير المعارضة باتجاه إسلامي.

هذه الحاكمية الإسلامية، التي جاءت عقب انتصار الثورة في إيران، قد وفّرت كل الوسائل المادية والمعنوية اللازمة لحل مشاكل المستضعفين في إيران، وإنقاذهم من الحرمان والظلم والاستثمار... من هنا فالماركسية في هذا المجال لم تعد تملك ما تعمله للجماهير المستضعفة.

الماركسية تستطيع أن ترفع الشعارات ولكن أين الشعار من العمل؟ فالعمل ـ من أجل المستضعفين ـ هو ما نهضت به الدولة الثورية الإسلامية، وقد فعلت حتى الآن الكثير».

واستمر «بهآذين» يتحدث عن انهيار الماركسية أمام خط الاستقلال السياسي فقال:

«المسألة الأخرى، مسألة شعار: لا شرقية ولا غربية. هذا الشعار يستهدف أولا تأمين استقلال البلاد، ويروم ثانيًا رفض كل طريق وحضارة، ونظام حكم وتركيب مجتمع، على الطراز الشرقي أو الغربي.

هذه المعتقدات راسخة في أذهان ووجدان الجماهير المستضعفة الإيرانية التي حققت بدمها انتصار الثورة واستمراريتها. الماركسية في هذه الحالة لا تستطيع أن تشق طريقها في أذهان هؤلاء ونفوسهم».

وراح «به آذين» يتحدث عن انهيار الماركسية في إيران أمام العقيدة الإلهية التي تسمو بالإنسان وتنتشله من حضيض المادة فقال:

«ثمة مسألة أخرى هي ان الماركسية لا تهتم بالإنسان وبجانبه الروحي بالشكل اللازم، بل ينبغي أن نقول إنها لا تهتم بذلك إطلاقًا ولا تقيم وزنًا للجانب الإلهي في الإنسان ومن هذه الجهة أيضًا لا تّجد الماركسية لها مكانًا بين جماهير الشعب».

خيانات اليسار

في هذه المقابلة راح هذا المفكر الماركسي والحزبي، والصحفي والأديب اليساري العريق يتحدث عن خيانات حزب توده واليسار عامة في:

*الحركة الدستورية، وكيف أن اليساريين من أمثال « حيدر عمو أوغلي» استطاعوا أن يخلعوا سلاح الثوار الدستوريين

القادمين من تبريز بقيادة ستراخان وباقرخان.

*وفي إحباط حركة الغابة المعادية للاستعمار في شمال إيران.

*وفي تأييد اليسار بقيادة سليمان اسكندري لحكومة الدكتاتور رضاشاه مما ساعد على استتباب الحكم لهذا الطاغية.

*وفي خيانته للسيادة الوطنية في حادثة إقامة جمهورية أذربيجان الإيرانية.

* وفي إصراره على منح السوفيت امتياز نفط الشمال أيام حكومة الدكتور مصدق.

*وفي تأييده لما يسمّى بإصلاحات الشاه.

*وفي عمالته التامة للاتحاد السوفيتي...

ثم تحدث الرجل عن خيانات حزب توده بعد انتصار الثورة الإسلامية بشكل موجز، قائلا:

« إن السكرتير العام للحزب « كيانوري» أعرق مني بهذه الخيانات، وسيشرحها هو بنفسه بالتفصيل» . ثم قال:

«في الظروف الحالية لحزب توده حيث الخيانات التي ارتكبها، ونقضه المتكرر لقانون الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتجسّسه لصالح الاتحاد السوفيتي، وتدبيره مؤامرة الإطاحة بالحكم، لم يبق أي مجال لحسن الظن به.. وهو الآن كجثة متعفنة يجب دفنها بسرعة كي لا تسري عفونتها إلى أذهان البسطاء من الشباب... وأعترف اني ارتكبت خطأ فاحشًا وذنبًا كبيرًا بحق نفسي، وبحق الجماهير المستضعفة الإيرانية التي

حققت بدمها وتضحياتها النصر للثورة الإسلامية الإيرانية ولا زالت تضحي للمحافظة عليها... وأنا مستحق للعقاب».

اعترافات « كيانوري»

نور الدين كيانوري انتمى إلى حزب توده سنة ١٩٤٢... اعتقل عام ١٩٤٦، وكان آنذاك عضوًا في اللجنة المركزية للحزب، .. ثم فرَّمن السجن، وغادر إيران إلى أوروبا وأقام في الاتحاد السوفيتي سابقًا وألمانيا الشرقية... اختلف مع اللجنة المركزية المقيمة خارج إيران مرات. وانتخب في أوائل اندلاع الثورة الإسلامية سكرتيرًا أولا للجنة المركزية للحزب الشيوعي الإيراني (توده).

خيانات الحزب للجمهورية الإسلامية

ركز كيانوري حديثه في هذه المقابلة على الخيانات التي ارتكبها حزب توده بعد انتصار الثورة الإسلامية ونقضه الصريح لقانون الجمهورية الإسلامية، مع تظاهره باحترام الدستور وقوانين الجمهورية.

نختصر ما جاء في اعترافات كيانوري بشأن هذه الخيانات فيما يلي:

١ – التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي السابق: فقد كان الحزب يعد تقارير عن الوضع السياسي والعسكري للجمهورية الإسلامية في إيران ويسلمها بين آونة وأخرى إلى السوفيت.

٢ -الاحتفاظ بالسلاح: فحزب توده حصل فيمن حصل على

السلاح من المعسكرات بعد انهيارها نتيجة انتصار الثورة الإسلامية، ولكنه لم يسلمها ـ كما فعلت الجماهير ـ بل احتفظ بها وأخفاها.

٣ -تأسيس تنظيم سري: وهذا التنظيم قوّاه حزب توده خاصة بعد أن أعلن المدعي العام في الجمهورية الإسلامية حظر أي نشاط حزبي سري في البلاد، وهذا التنظيم السري نشط خاصة في حقل جمع المعلومات، وهكذا انساق الحزب إلى الجاسوسية.

٤ -السعي للتغلغل في أجهزة الدولة بقناع التظاهر والنفاق والتملق.

٥ -محاولة إيجاد تنظيم سري عسكري داخل القوات المسلحة لجمع المعلومات العسكرية.

٦ -الخروج غير القانوني من الحدود خاصة في الفترة الأخيرة من عمر الحزب.

ثم قال كيانوري:

« أعتقد أن جرائمنا ثقيلة فهي تدخل في إطار الجاسوسية والخيانة، ونقض القانون وهي ثقيلة إلى درجة نستحق معها أشد العقاب، والجمهورية الإسلامية محقة في أن تنزل بحقنا العقاب الذي ترتئيه. ونحن مسؤولون عن كل هذه الجرائم».

وهكذا برزت على ساحة الجمهورية الإسلامية تجربة أخرى من التجارب التي أثبتت قدرة الإسلام في عملية الهدم والبناء، وفي قدرته على سحب البساط من تحت أرجل المتظاهرين بالشعارات التقدمية.

امتي

عمر أبو ريشة

أمـتي هـل لـك بـين الأمـم ... منـبر للسـيف أو للقلـم
أتلقاك وطرفي ..... مطرق ... خجـلا مـن أمسـك المنصـرم
ويكـاد الـدمع يهمـي عابثـا ... ببقايا ..... كبرياء ..... الألم
أيـن دنيـاك الـتي أوحـت إلى ... وتـري كـل يتـيم الـنغم
كـم تخطيـت علـى أصـدائه ... ملعـب العـز ومغنـى الشـمم
وتهاديت كأني ..... ساحب ... مئـزري فـوق جبـاه الأنجـم
أمـتي كـم غصـة داميـة ... خنقـت نجـوى عـلاك في فمـي
أي جـرح في إبـائي راعـف ... فاتـه الآسـي فلـم يلتـئم
ألاسرائيل ..... تعلو ..... راية ... في حمـى المهـد وظـل الحـرم !؟
كيف أغضيت على الذل ولم ... تنفضـي عنـك غبـار الـتهم ؟
أوما كنت إذا البغي اعتدى ... موجـة مـن لهـب أو مـن دم !؟
كيف أقدمت وأحجمت ولم ... يشـتف الثـأر ولم تنتقمـي ؟
اسمعي نوح الحزانى واطربي ... وانظـري دمـع اليتـامى وابسـمي
ودعـي القـادة في أهوائهـا ... تتفـانى في خسـيس المغـنم
رب وامعتصـماه انطلقـت ... مـلء أفـواه البنـات اليـتم
لامسـت أسمـاعهم.... لكنهـا ... لم تلامـس نخـوة المعتصـم
أمـتي كـم صـنم مجدتـه ... لم يكـن يحمـل طهـر الصـنم
لايـلام الـذئب في عدوانـه ... إن يـك الراعـي عـدوَّ الغـنم
فاحبسـي الشـكوى فلولاك لما ... كان في الحكم عبيدُ الدرهم
أيها الجندي يا كبش الفدا ... يـا شـعاع الأمـل المبتسـم
مـا عرفـت البخـل بـالروح إذا ... طلبتهـا غصـص المجـد الظمـي
بـورك الجـرح الـذى تحمله ... شـرفا تحـت ظلال العلم